

# الشريعة الإسلامية



## مقدمة تاريخية

«تأقت النفوس من أبناء شعب مصر العظيم منذ فترة طويلة إلى تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، كما تطلعت إلى اليوم الذي يكون فيه مرد الأمر إلى أحكام الله تبارك وتعالى، التي فُطرت عليها طبيعة هذا الشعب».

لم يقل هذه الكلمات الإخوان المسلمون، ولا السلفيون، ولا الجماعات الإسلامية، ولكن كانت تلك مقدمة الكتاب الذي أصدره مجلس الشعب المصري في عام ١٩٨٣ بعنوان: تقنين الشريعة الإسلامية في مجلس الشعب.

قبل ذلك في ٢٢ / ٩ / ١٩٨٢ أعلن وزير الأوقاف إبراهيم الدسوقي أنه «تم الانتهاء من إعداد ٩٥٪ من قوانين الشريعة الإسلامية، وإنه يجري تطويع النسبة القليلة وفقاً لأحكام الشريعة للبدء في تطبيق ما تم تقنينه في أقرب فرصة<sup>(٤٠)</sup>».

نعود قليلاً لما قبل ذلك، فنجد في عام ١٩٧٨، بعد خمس سنوات فقط من العبور العظيم للجيش المصري لسيناء في ١٩٧٣ رغم أنف ما كان يُسمى القوتين العظميين في ذلك الوقت، أن الرئيس المنتخب لمجلس الشعب، الدكتور صوفي أبو طالب يعلن - وفي خلفيته تحرير سيناء عسكرياً، وفي تطلعاته هو وجموع الشعب المصري المؤمن بإنجاز تحرير واستقلال تشريعي

(٤٠) تقنين الشريعة الإسلامية في مجلس الشعب، صفحة ٤.

وقانوني - «أن الأوان لإعمال نص المادة الثانية من الدستور<sup>(٤١)</sup>» التي تقضي بأن مبادئ الشريعة الإسلامية مصدر رئيسي للتشريع<sup>(٤٢)</sup>، بحيث لا يقتصر الأمر على عدم إصدار تشريعات مخالفة لهذا النص، بل يتعداه إلى مراجعة كل قوانيننا السابقة على تاريخ العمل بالدستور وتعديلها بالاعتماد على الشريعة الإسلامية الغراء<sup>(٤٣)</sup>».

تطبيق الشريعة يعنى الشريعة ككل وليس فقط الأحكام والحدود، فعلى سبيل المثال تأمر الشريعة بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى، وتأمر بأداء الأمانات إلى أهلها وتأمر بالصدق والرحمة والتكافل، وباكتساب العلم، وبالعمل وبالتجارة والسعى وراء الرزق وسبل القوة، وأمرت بمكارم الأخلاق، وبينت أن خير الناس أنفعهم للناس، وخيرهم خيرهم لأهله، وأمرت المسلمين بالشورى والوحدة، وأمرت بجهاد النفس، وبالجهد ضد الظالمين مسلمين أو غير مسلمين، فجاء في الحديث أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر، وأمر القرآن بقتال الفئة الباغية، وأمرت بإعداد الجيش القوى بقدر الاستطاعة، ونهت أن يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، وعن الغش والتزوير والكذب، وعن النفاق، والاحتكار، وعن التقاعس عن العمل للدنيا والآخرة، وعن الطمع والشح والأثرة، واتباع الهوى، وعن أن يكون المرء إمعة.

(٤١) نصت كل دساتير مصر على أن الإسلام دين الدولة: دستور ١٩٢٣، دستور ١٩٣٠، دستور ١٩٥٤، دستور ١٩٥٦، دستور ١٩٦٤، وأخيراً دستور ١٩٧١.

(٤٢) تم تعديل المادة في عام ١٩٨٠ لتصيح: مبادئ الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسي للتشريع.

(٤٣) تقنين الشريعة الإسلامية في مجلس الشعب، صفحة ٣.

ترى الشريعة أن الناس إخوة، فهم جميعًا خلق من مخلوقات الواحد الأحد، كلهم لآدم وآدم من تراب، وكلف الله الناس بالخلافة على الأرض لإقامة الحق والعدل وإعمار الأرض، وفي ذلك أعلى تكريم من خالق الأكوان، وقال - سبحانه - ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَنُّكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، فليست العزة باللون ولا الجنس ولا غيره، ومقاصد الشريعة الرئيسية هي حماية: النفس، والدين، والعقل، والمال، والعرض، وفي هذا تكريم للإنسان كما أمر الله بتكريمه.

تمثل الأحكام والحدود جزءًا صغيرًا من الشريعة، وتطبيق الشريعة كلها مشروع طموح يتطلب عملاً دؤوبًا بتخطيط واع شامل، والعقبات أمامه كثورة متعددة، فهناك قوى متربصة وجاهزة بكل الوسائل والأساليب، ومستعدة لكل أنواع المواجهة لإجهاض هذا المشروع، والذي إذا نجح في مصر، ستصبح مصر به نموذجًا وكعبة يتطلع إليها ربع سكان العالم من العرب والمسلمين، وربما يتطلع إليها قطاع كبير آخر من دول أفريقيا وآسيا وأمريكا الجنوبية التي اكتوت بظلم القرون القليلة الماضية. باختصار يرى البعض في المشروع مصدر إزعاج خطير للمشروع الغربي لسيادة العالم، ولهذا قالوا إنه لأول مرة في تاريخ البشرية، تعمل كل أجهزة مخابرات العالم في ميدان واحد، ميدان التحرير!.

يرى البعض أن يبدأ المشروع بتقنين الشريعة ومبادئها، والمقصود بذلك أن تكون القوانين في مصر نابعة من أحكام الشريعة، وبالطبع هذا لا يمنع من الاستفادة من التجارب الناجحة في أي من دول العالم، بشرط ألا ينتهك هذا أحكام الشريعة ولا مبادئها.

كانت مصر تستقى قوانينها من نبع الشريعة لمدة تزيد على عشرة قرون، حتى بدأ التدخل والنفوذ الأجنبي يسريان في دم الشعب المصرى كالمسم، فبدأت حكومات مصر منذ النصف الأخير من القرن التاسع عشر ترسخ لذلك النفوذ، وأجبرت على إعطاء الامتيازات الأجنبية، ثم أجبرت على إنشاء المحاكم المختلطة، ثم المحاكم الأهلية، وجاء الغزو والاحتلال البريطانى فى عام ١٨٨٢ بقواته العسكرية وخططه الاقتصادية والمالية، والتي احتاجت لغزو لثقافى، ومن ثم تشريعى وقانونى ليستتب أمر الاحتلال، واستنزاف خيرات مصر وتطويرها لذلك.

ولكن تنبّهت الزعامات الوطنية لمخاطر تلك الهيمنة والغزوة الثقافية خاصة فى التشريع والتقنين، والتي رأتها لا تقل خطراً عن الغزوة العسكرية، إن لم تزد، فشارها هي الرضا<sup>(٤٤)</sup>، أو على الأقل القنوع والخنوع لذلك الاحتلال، فلا يحاربه أو يقاومه أحد.

برزت أسماء لامعة فى ذلك الكفاح للاستقلال الثقافى فى التشريع والتقنين، منها رفاة الطهطاوى (١٨٠١ - ١٨٧٣) الذى طالب بأن تكون الشريعة مرجع التحديث، وحذر كثيراً من خطر التحول لأخلاق أوروبا وأحكامها، وطالب بأن تكون السيادة العليا فى مجال التشريع والقانون للشريعة الإسلامية، وواصل محمد عبده (١٨٤٩ - ١٩٠٥) دعوة الطهطاوى.

وظهر قدرى باشا وزير الحقانية الذى وضع مؤلفاته الثلاثة: مرشد الحيران، قانون العدل والإنصاف، الأحكام الشرعية فى الأحوال الشخصية، فى أعوام ١٨٩٠ - ١٨٩٣، واعتبره السنهورى زعيم مدرسة تقنين الشريعة ورائدها الأول فى مصر.

(٤٤) اعتبر بعض المسئولين فى عهد مبارك، ومن بينهم وزارة الثقافة، أن غزو نابليون فتح، يستحق أن يحتفل به المصريون.

كذلك برز السنهورى الذى استمر فى المطالبة بتقنين الشريعة، وعمل على تكثيف الجهود لإعادة مرجعية الشريعة الإسلامية، فأثمرت جهوده ومن معه عن القانون المدنى فى عام ١٩٤٨، بعد أن نجحت مصر فى إنهاء عهد الامتيازات الأجنبية والمحاكم المختلطة والمحاكم الأهلية، لتعود لمصر - التى كانت تحت الاحتلال البريطانى فى ذلك الوقت، وتحت الملكية الفاسدة - حصة كبيرة من استقلاليتها التشريعية، وبدأت العمل به فى عام ١٩٤٩ .

وبعد ثورة ١٩٥٢، أوصى المؤتمر الثانى لمجمع البحوث الإسلامية فى عام ١٩٦٥ بالعمل على تنقية التشريعات من كل ما يخالف حكم الإسلام، وفى عام ١٩٧٦ أوصى المؤتمر الرابع للمجمع بتشكيل لجنة لعمل الدراسات اللازمة لمشروع الأخذ بأحكام الشريعة، وكما علمنا سابقاً، توج كل ذلك قرار مجلس الشعب فى عام ١٩٧٨ بالبدء فى مشروع طموح لتقنين الشريعة، استجابة للمادة الثانية من الدستور التى تنص على أن مبادئ الشريعة الإسلامية هى مصدر رئيسى للتشريع، والتى تم تعديلها فى عام ١٩٨٠ لتصبح: المصدر الرئيسى للتشريع.

وجدير بالذكر أن المركز القومى للبحوث قام باستطلاع رأى فى عام ١٩٨٥ حول تطبيق أحكام الشريعة على جرائم الحدود، وجاءت نتائجه كالتالى:

\* بلغت نسبة الموافقة ٩٨٪ بين المسلمين، و ٦٣٪ بين المسيحيين.

\* وافق على التطبيق الفورى ٣١٪ من المسلمين، ٣٢٪ من المسيحيين،

بينما بلغت نسبة الموافقين على التطبيق التدريجى ٦٩٪ عند المسلمين، ٦٨٪ عند المسلمين<sup>(٤٥)</sup>.

---

(٤٥) تقنين الشريعة بين المجتمع والدولة، د. إبراهيم البيومى غانم، مكتبة الشروق الدولية،

يبرز بعد ذلك السرد السريع التساؤل: كيف انتبعت القوى الوطنية في مصر المحتلة، وتحت حكم الملكية الفاسدة، سواء كانت فؤاد أو فاروق، لأهمية الاستقلال التشريعي والقانوني لمصر، وكافحت من أجله حتى أصدر السنهوري ومن معه القانون المدني في ١٩٤٨، ثم استمرت القوى الوطنية في المطالبة بتقنين الشريعة بعد ثورة ١٩٥٢، وحتى بدأت جهود مجلس الشعب في عام ١٩٧٨ في مشروع عملاق لتقنين الشريعة، واستطاعت اللجان المتعددة إعداد ما يقرب من ٩٥٪ من المطلوب في سنوات قليلة، ثم ينقلب الحال بدءاً من منتصف الثمانينيات، فتختفى دراسات اللجان القانونية بأساتذتها وخبرائها في أدراج مجلس الشعب، ثم يُحارب هذا المد الوطني، وتبأرى أجهزة الإعلام الحكومية وبعض الخاصة في تخويف الشعب من الشريعة الإسلامية، حتى أصبح من يُطالب بها وكأنه يرتكب جريمة؟.

هناك بحث للدكتور محمد كمال إمام عن: الخلفية الفكرية والتشريعية والاجتماعية لاستبعاد تطبيق الشريعة الإسلامية، نشرته مجلة المسلم المعاصر في عددها الثامن والخمسين الصادر في ١٤١١هـ / ١٩٩٠م<sup>(٤٦)</sup>.

(٤٦) نقتطف من هذا البحث بعض النقاط المهمة:

• تشير وثائق الفكر المصري الحديث إلى دور الاستعمار في إثارة هذه المعركة، وقد استخدم في ذلك غير المسلمين - خاصة الأقباط - الذين عقدوا المؤتمر القبطي الأول في شهر مارس ١٩١١ وجوهر مطالبهم إقامة دولة علمانية في مصر.

• التشريع الإسلامي إذن كان أهم أدوات المقاومة في معركة الاستعمار والتغريب، وهذا ما لاحظته المفكر الاجتماعي الفرنسي «جوستاف لوبون» عندما قال «أما الدول التي تأسست على أركان دين آمن به العموم، فقد كانت قوتها أعظم وسلطاتها أوسع، فإذا بقى القانون الديني حياً - يقصد الشريعة - يظل قادراً على القيام بمهمة التأليف بين المصالح والعواطف».

= \* فبقاء الإسلام في المجال التشريعي، هو الوجود الإسلامي الحقيقي، وهو ما عبر عنه «جب» بقوله «ولعلني غير غطني في اعتقادي، وإن كان اعتقاداً صادراً عن التصور والحدس، أن احترام الشريعة لا يزال لب التفكير الإسلامي، وأن الإبقاء على الشريعة يرتبط ببقاء الإسلام، أو زواله».

\* فدخل التشريع الأجنبي إلى البلدان الإسلامية جاء عن عمد وسبق إصرار، وكان يمثل خطوة الاستعمار الأولى في السيطرة على المسلمين، ووسيلته لإقامة جسور التبعية على المسلمين، فمنذ عام ١٧٩١م بدأ الحكم الإنجليزي في الهند بالغاء التشريع الإسلامي، وحدث ذلك في مصر منذ علت اليد الاستعمارية فيها مع أواخر عصر إسماعيل وفي عصر الخديوي توفيق، ولم يمر عام على دخول الاحتلال الإنجليزي إلا وكانت التقنيات المصرية منقولة عن مجموعة نابليون نقلًا يكاد يكون حرفيًا، وحدث مثل ذلك في الجزائر وتونس والمغرب وبقية أجزاء العالم الإسلامي. وعندما اكتملت دائرة تحية التشريع الإسلامي، أصبح العالم الإسلامي فريسة سهلة للاستعمار.

\* وكما قال القومندان الفرنسي «مارتي» أحد أعمدة الاحتلال الفرنسي في الجزائر: «كل تدخل من قبل الفقيه، وكل ظاهرة إسلامية يجب منعها بصرامة تامة».

\* محمد علي كلف «الشيخ محمد الجزائري» المفتي أن يضع له قانوناً مدنيًا على مثال وترتيب قانون نابليون يكون في الوقت نفسه مأخوذاً من الشريعة الإسلامية، وقد بذل الشيخ الجزائري جهداً كبيراً لإنجاز المشروع إلا أن الظروف الدولية أجهضت محاولته. وقد روى مثل ذلك عن الخديوي إسماعيل ورفاعة الطهطاوي، وفي عهد الخديوي توفيق عندما بدأ التفكير جدياً في تقنيات حديثة شاملة انجهدت الأنظار إلى المصدر الطبيعي لها وهو الشريعة الإسلامية، فقد جاء في مذكرة حسين باشا ناظر الحفانية لمجلس النظار بتاريخ ٢٦ محرم سنة ١٣٠٠هـ - ٧ ديسمبر ١٨٨٢م أنه «ترامى للحكومة وضع قانون مطابق للشريعة الغراء، وأحيل عمله على سعادة قدرى باشا، وتشكل قومسيون آخر لترتيب المجال، وفجأة آثرت الحكومة تشكيل لجنة لوضع التقنيات الأهلية برئاسة حسين فخري، وهو غير مؤيد لقانون مستمد من الشريعة الإسلامية ومن أعضائها المسيو «فاشير» النائب العام لدى المحاكم المختلطة، و«موندو» الإيطالي، و«لوي» الإنجليزي وكانا قاضيين لدى المحاكم المختلطة، وبطرس غالي وكان وكيل وزارة الحفانية، وقد وضعت هذه اللجنة التقنيات الأهلية المنقولة عن التقنيات المختلطة، ويكاد يكون النقل حرفيًا، ولما كانت التقنيات المختلطة قد تم إعدادها في ظروف مربية، وبطريقة غريبة، صارت القوانين الأهلية الجديدة على نحو يخالف كل القواعد العلمية المعمول بها في إصدار التشريعات».

\* وفي محضر مجلس النظار بتاريخ ٢١ ديسمبر ١٨٨٢ عارض على مبارك ما جاء في التقرير بخصوص الحجر والتقييد على اختصاص المحاكم الشرعية. وأصر مبارك على رأيه هذا ومعه عمر لطفى كما هو ثابت في محضر مجلس النظار، وقد اضطرد عدوان المحاكم الأهلية على =

= اختصاص المحاكم الشرعية، ويذكر رشيد رضا أن الحكومة أرادت أن تجعل في المحكمة العليا عضوين من مستشاري محكمة الاستئناف الأهلية، فهاج المسلمون في مصر وحملوا على الحكومة في الجرائد واجتمع علماء الأزهر للإنكار على الحكومة، وكان من المتحمسين من يتهم الأستاذ الإمام (محمد عبده) بالرضا بالمشروع وتأييد الحكومة فيه، فسألته عن ذلك فعملت منه أنه سعى في مقاومته سرّاً جهده طاقته؛ لأنه يضر ولا يفيد المطلوب، وقال إن الواضع الحقيقي له هو بطرس باشا لا ناظر الحقانية، ومن مقاصد بطرس باشا فيه التمهيد لإلغاء المحاكم الشرعية.

\* وقد ذكر أفرام البستاني في شرحه لقانون العقوبات الأهل «أن هذا التشريع لقي معارضة شديدة لمخالفته للشرعية وعوائد البلاد، وذلك ثابت في المضابط ومحاضر مجلس النظارة».

\* وقد حاولت الحكومة فور إصدارها للتقنينات الأهلية - تفادياً لوصمها بمخالفة الشرعية - تخريج أحكام هذه القوانين على مذاهب الفقهاء.

\* ففي سنة ١٩٠٦ كتب على أبو الفتوح باشا، وقد أصبح وكيلاً لوزارة المعارف «ما أجدر الحكومات الإسلامية باستنباط قوانينها وأحكامها من الشرعية، مع اختيار القول الأكثر مناسبة للزمان والمكان، لتكون هذه القوانين والأحكام أكبر احتراماً في النفوس، وأشد موافقة لأخلاق وعادات من وضعت له ... فعلينا أن نتمسك بشريعتنا الغراء، فهي مؤسسة على الاعتدال الذي به يكون الإنسان سعيداً في بيته ووطنه، ومع جيرانه ومعاشريه مهما اختلفت مذاهبهم وتنوعت أجناسهم»، أما العلامة عبد السلام ذهني، فقد دأب في كل مناسبة على نقد القوانين المستوردة، وفي مقال له عام ١٩١٦ عن نهضة القانون قال «إني من الفريق الذي يعتقد بحق بأنه لا بد وأن يكون للقوانين الأهلية عصبية ترجع بها إلى تاريخ الأمة وتقاليدها وعوائدها وأخلاقها، بحيث تكون القوانين صورة لأخلاق الأمة وعوائدها، وقد جاءت المحاكم الأهلية سنة ١٨٨٣ على غرار المحاكم المختلطة، وكان يتعين إنشاء المحاكم الأهلية على الطريقة المعروفة في الشرعية الإسلامية، كما كان يجب أن تعمل لها قوانين على غرار ما تقرر في الشرعية الإسلامية، وما درج عليه الأهلون فيها» ويقول «هذا الخطأ الذي وقع فيه نوبار في سنة ١٨٧٦ من إنشاء المحاكم المختلطة إلى سنة ١٨٧٥ ومن نقل القوانين الفرنسية من مدنية وتجارية ومرافعات وعقوبات وتحقيق جنائيات، لا بد من تصحيحه مهما طال الزمن، وتعاقبت الأحقاب، إن القانون المدني، فيما يتعلق بالمعاملات بين الأفراد كان هو قانون الشرعية الإسلامية، وكانت أحكامها المدنية هي السائدة بين الأفراد ... أما وقد خرج «نوبار» ومن تولى بعده عن ذلك الطريق السوي، طريق استبقاء أصول الشرعية الإسلامية، وطريق المحافظة عليها لتكون قانون الشعب المصري، ومن يسكنه من غير المصريين، وأتى وأتوا بعده بقانون منقول عن القانون الفرنسي، غريب عن البلاد في عاداتها وفي طقوسها، وفي تقاليدها، فإنه آن أوان التفكير في علاج الأمر علاجاً صحيحاً مما مضى، ويعد العدة لمستقبل كله آمالاً، علاجاً يبعث إلى الوجود المصري تلك الأصول الشرعية الإسلامية فيما يتصل بالمعاملات».



تكررت في القرآن عشرات المرات ثنائية ﴿آمنوا وعملوا الصالحات﴾،  
 بما يبين - بحسابات الآخرة - أن الإيمان وحده لا يكفي، والعمل  
 الصالح وحده لا يكفي، بل لا بد من الإيمان والعمل الصالح، لذلك  
 قالوا الإيمان قول يصدق العمل.

كذلك جاء في القرآن ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ  
 وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾  
 [النحل: ٩٠]، وجاء ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ  
 بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]

الحكم بين الناس بالحق والعدل، وأداء الأمانات، وإحسان العمل،  
 هو ما نزلت الشريعة الإسلامية، والشرائع السماوية بصفة عامة، لبيان  
 أسسه للناس، ولذلك جاء في سورة المائدة، وهي من أواخر - إن لم  
 يكن آخر - سور القرآن في النزول:

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ  
 هَادُوا وَالرَّسُولِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا  
 تَخْشَوُا النَّكَاسَ وَأَخْشَوْنَ وَلَا تَشْرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ  
 فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿١١﴾ وَكَيْفَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ  
 وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأَذْنَ بِالْأَذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ فِصَاصًا فَمَنْ تَصَدَّقَ  
 بِهِ، فَهُوَ كِفَارَةٌ لَهُ. وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٢﴾ وَقَفَيْنَا  
 عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى  
 وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣﴾ وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ

الْإِغْيَالَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾  
 وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ  
 فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ  
 شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا  
 الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَبِئْسَ لَكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخَلَّفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأِنْ أَحْكَمْتُمْ بَيْنَهُمْ  
 بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرْتُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا  
 فَاعْلَمْتُمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُبَيِّسَ لَكُمْ أَسْوَءَ دُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ  
 يَسْتَبِقُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿[المائدة: ٤٤ - ٥٠].

تقول الآيات إن من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون<sup>(٤٧)</sup>،  
 وأولئك هم الظالمون، وأولئك هم الفاسقون، ثم تقرر أنه ليس هناك  
 أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون.

وتأمر بأن يتبع اليهود والمسيحيون شرعهم وهم يعيشون في  
 المجتمع أو الدولة الإسلامية، ولذلك قال البابا شنودة أكثر من مرة في  
 مشكلة الزواج الثاني للمسيحيين: ارجعوا يا مسلمين للقرآن<sup>(٤٨)</sup>.

هناك آيات أخرى كثيرة تأمر المسلمين باتباع شرع الله، وأخرى  
 بينت أحكامه، وفصلت السنة النبوية بعض تلك الأحكام.

(٤٧) قال مخلوف وابن كثير وغيرهما نقلاً عن ابن عباس: من لم يحكم بما أنزل الله جاحداً فهو  
 كافر، ومن أقر به ولم يحكم فهو ظالم فاسق.

(٤٨) منذ سنوات قليلة، قامت في أمريكا حملة على الشريعة الإسلامية، وفي عامنا الحال  
 أصدرت بعض الولايات قوانين تمنع من ممارسة الشريعة الإسلامية، ووصفت ولاية  
 تينيسي الإسلام بأنه مذهب قانوني - سياسي - عسكري - «Legal - Political -  
 Military Doctrine» فهو هذا الوصف ليس ديناً!

## قضية تقنين الشريعة اليوم

يتخوف قليل من المسلمين من بناء المجتمع والدولة والحضارة على أساس مبادئ الشرع وأحكامه، رغم أن علماء السياسة والتاريخ والاجتماع والقانون - وغيرهم - فى الولايات المتحدة وأوروبا الغربية يرددون دائماً أبداً أن مجتمعاتهم وحضارتهم قائمة على أسس يهودية مسيحية.

ورغم شهادة العديد من القانونيين العالميين للشريعة الإسلامية بالتكامل وجدارة الاتباع<sup>(٤٩)</sup>، ورغم أن المناداة باستعادة الاستقلال التشريعى لمصر بدأت منذ أكثر من قرن، وقال فقهاء القانون من أمثال السنهورى إن استقلال مصر لن يكتمل إلا باستقلالها التشريعى، رغم كل ذلك، رأينا د. علاء الأسوانى، وهو يحاصر مع يسرى فودة - أو حتى يتهمان - د. محمد مرسى بأن الإخوان يريدون أن تكون هناك لجنة أو جهة يرجع إليها مجلس الشعب لتوضح له إن كان مشروع قانون ما ينتهك الشريعة أم لا، وكان ذلك على شاشة OTV.

وتناسى البعض أن رئيس مجلس الشعب الأسبق، دكتور صوفى أبو طالب، شكل سبعة لجان لتنقية القانون مما يخالف الشريعة، وعملت تلك اللجان لبضع سنوات لإنجاز مهمتها، وكان أعضاؤها من مجلس الشعب ورجال القانون، ورجال القضاء، واستعانت بالأزهر ودار الإفتاء ووزارة الأوقاف فى عملها.

(٤٩) قال الفرنسى إدوارد لامبير مدير مدرسة الحقوق السلطانية فى مصر فى نهاية القرن التاسع عشر: لديكم قانون لا يوجد له نظير فى العالم، ومهمتمكم الأساسية إظهار هذا القانون. وكان ذلك من أسباب طرد الإنجليز له من مصر - د. محمد كمال إمام.

وقرأنا في جريدة الأهرام فى ١٩/٦/٢٠١١ على صفحة ٥ العنوان الآتى:  
«اتهامات حادة للإخوان فى المؤتمر الأول لجبهة أبناء مصر» وكتب  
حازم أبو دومة تحت هذا العنوان:

شن الإعلامى وائل الإبراشى هجوماً حاداً على الإخوان المسلمين،  
وقال إنهم يمهدون للقفز على السلطة من خلال مخطط طويل المدى  
لتغيير المجتمع وتحويله إلى دولة إسلامية تدريجياً.

ثم كرر الدكتور ضياء رشوان - على قناة O T V أيضاً - اتهام أحد  
مؤسسى حزب المصريين الأحرار للإخوان المسلمين بأنهم يريدون  
انتهاك قاعدة: لا دين فى السياسة، وطلب من الدكتور عصام العريان  
تأكيداً بأنهم لن ينتهكوا تلك القاعدة.

وقبل ذلك، قال رشوان بوجود محاسبة الإخوان على أى تصريحات  
لهم بهذا الخصوص.

يقول مؤيدو الشريعة:

من أين جاء تقديس هذه القاعدة؟ هل لدى المطالبين بها نص سماوى  
خصهم الله به؟ أم هناك تجربة علمية أكدت صحة هذه القاعدة فلا يجوز لأحد  
انتهاكها؟ وهل لا يدخل الدين فى سياسة إنجلترا - صاحبة وعد بلفور - ،  
وإسرائيل - الدولة اليهودية ذات الأحزاب الدينية ومبدأ الأرض الموعودة - ،  
وأمرىكا الشعب المختار الجديد - الذى يؤمن بوجود قيام دولة إسرائيل حتى  
تنشب معركة هربجدون - تطلعاً للمجىء الثانى للمسيح، وخلاص المسيحيين؟  
أم أنها إحدى كليشيات البروباغندا التى يقصفنا بها الغرب ونردها وراءه  
وندخل بها فى جدل يفرقنا ويصرفنا عن صنع حاضرنا ومستقبلنا؟!.

قبل ذلك، اعترض بعض الإعلاميين وبعض الناشطين السياسيين على المستشار طارق البشري ووصفوه بأنه: إسلامي.

وانتشرت في الإعلام بعض المصطلحات التي تزدري من يُطالب ببناء المجتمع والدولة الإسلامية - رغم أن المادة الثانية من الدستور تنص على ذلك، ورغم أن دساتير مصر السابقة، بداية من دستور ١٩٢٣ بها نصوص مشابهة:

دستور ١٩٢٣ : مادة ١٤٩ : الإسلام دين الدولة.

دستور ١٩٣٠ : مادة ١٣٨ : الإسلام دين الدولة.

دستور ١٩٥٤ : مادة ١٩٥ : الإسلام دين الدولة.

دستور ١٩٥٦ : مادة ٣ : الإسلام دين الدولة.

دستور ١٩٧١ : مادة ٢ : الإسلام دين الدولة.

وتم تعديل المادة الثانية في عام ١٩٨٠ إلى: الإسلام دين الدولة، ومبادئ الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسي للتشريع.

### دساتير تنص على المسيحية

هناك عدة دساتير تحدد ديانة الدولة بأنها مسيحية، وتحدد أى نوع من المسيحية كاثوليكية أو بروتستانتية، وإذا كانت بروتستانتية فأى طائفة منها: لوثرية، كالفينية أو غير ذلك، فعلى سبيل المثال الدنمارك والنرويج وأيسلندا: أنجيلية لوثرية - إنجلترا: الملك هو رأس كنيسة إنجلترا (ومنعت وثيقة الحقوق البريطانية الصادرة في ١٦٨٩ أن يتولى الملك أمير

باباوى، أى كاثوليكي، وسمحت للبروتستانت فقط من أفراد الشعب بحيازة الأسلحة) - الأرجنتين وكوستاريكا: الكاثوليكية الرومانية.

ونقطتف من كتاب كليفوردي لونيلى: «الشعب المختار: الأسطورة التى شكلت إنجلترا وأمريكا» وصفه لتويج الملكة إليزابث الثانية - ملكة إنجلترا الحالية - فى كنيسة ويستمنستر: ... وبينما كان كبير أساقفة كانتربورى، الدكتور جيوبرى فيشر يتولى القداس، سأها بشكل رسمى: «هل ستحافظين بأقصى قوتك على قوانين الرب وعلى المغزى الحقيقى للإنجيل؟ وهل ستحافظين بكل قوتك على الديانة الإصلاحية البروتستانتية التى أرساها القانون فى المملكة المتحدة؟ هل ستحافظين بصورة ثابتة على استقرار كنيسة إنجلترا، والمذهب والعبادة والنظام، والحكومة بالتالى، كما أرساها القانون فى إنجلترا؟ وهل ستبقى كل الحقوق والامتيازات لرجال الإكليروس والأساقفة فى إنجلترا كما يقضى القانون؟ وأجابت ويدها على الكتاب المقدس: «أعد بأن أفعل هذا كله» - صفحة ٤٢، ٤٣ من الجزء الأول.

نشرت بعض قوى الغرب المحبة للإسلام مصطلح «Islamist» على الإسلاميين السياسيين، وبالطبع لم تسك تلك القوى مصطلح «Christianist» ولا مصطلح «Judaist» على المسيحيين أو اليهود السياسيين، رغم أن الدين والكتاب المقدس من الأسباب الرئيسية لدعم الولايات المتحدة وأوروبا لإسرائيل<sup>(٥٠)</sup>، ولما أعلنت إسرائيل رسمياً أنها

(٥٠) نكتفى هنا بمقتطفات من خطاب جورج بوش للكينيت فى ١٥ مايو ٢٠٠٨:  
\* استقلال إسرائيل هو الوفاء بوعد قديم لإبراهيم وموسى وداود - أرض الشعب المختار - أرض إسرائيل.

دولة يهودية، لم نسمع أحدًا في الغرب - ولا حتى في مصر - يردد علينا مثل ذلك المصطلح بالنسخة اليهودية منه، بل عندما أكد تنياهو على يهودية دولة إسرائيل في الكونغرس، هب رجال الكونغرس وقوفًا في عاصفة تصفيق مدوية للزعيم اليهودي، ولكنه ليس «Judaist»!

وهنا في مصر، سك الدكتور رفعت السعيد مصطلح «المتأسلمون» على كل من يجرؤ على الجهر باتجاهاته الإسلامية وبرغبته في بناء الدولة والحضارة الإسلامية<sup>(٥١)</sup>.

= \* تحالف حكوماتنا [أمريكا وإسرائيل] لا يمكن فكه، ومصدر صداقتنا أعمق من أى معاهدات، فهي متجذرة في الروحانيات المشتركة لشعبينا، إنها روابط الكتاب المقدس. عندما هبط ويليام برادفورد من سفينة ماى فلاور في ١٦٢٠، ردد كلمات إرميا: تعالوا لنعلن في صهيون كلمة الله. رأى مؤسسو أمريكا أنها أرض موعودة جديدة، وأطلقوا على بلدانهم أسماء مثل بيت لحم، وأرض كنعان الجديدة. وفي الوقت المناسب أصبح الكثير من الأمريكيين مدافعين بحماس عن دولة يهودية جديدة. يمكن لمن يريد الاستزادة قراءة الكتب الآتية: «المسيح اليهودي وتاريخ نهاية العالم» رضا هلال، «الصهيونية غير اليهودية» ريجينا رزق، «تاريخ نهاية العالم: كيف غير أكثر أسفار الكتاب المقدس إثارة للجدل حضارة الغرب» - والكتب كلها من منشورات مكتبة الشروق الدولية. (٥١) في كتابه «الليبرالية في مصر» رأى أنّ من يهاجم ويرفض الإسلام السياسى يكون ليبراليًا، حتى لو كان ذلك الليبرالى يؤيد احتلال بريطانيا مصر. انظر: شبلى شمى لى الليبرالى يصف كرومر بأنه: مصلح مصر، ويدعو لاستمرار الاحتلال الإنجليزى لمصر - صفحة ٦٩، وانظر: ولى الدين يكن الليبرالى الذى يقول عن كرومر إنه حبيب الأحرار ومصلح مصر ورجلها العظيم، ويقول عن عرابى إنه أحد العاصين، ويدعو لبقاء الإنجليز في مصر - صفحة ١٥٢، ويرى أن سعد زغلول نصف ليبرالى، ربما لأنه انتقد كتاب «في الشعر الجاهل» لعه حسين، وكتاب «الإسلام وأصول الحكم» لعلى عبد الرازق - صفحة ٢٣٨، وبالطبع أشاد الدكتور المؤلف بسلامة موسى الذى جعل من التفرغ مادة أساسية في الليبرالية - صفحة ١٧٢. غلاف الكتاب رسم لفتاتين على وجهيهما أحمر شفاه بصورة مبالغ فيها، وكذلك على أعلى صدر إحداهن العارى، وكأن هذه هى الليبرالية المصرية في نظر الدكتور المؤلف.

بالطبع لسنا في حاجة لبيان أن تلك القوى في الغرب لا تريد الإسلام الذى يدخل الحياة العامة، إسلام الحقوق والعدالة والمساواة والعمل، والذى ينقص فيه إيمان المرء إذا بات شعبان وجاره جائع، وإذا لم يجب لأخيه ما يجب لنفسه، إسلام التوحيد الخالص الذى لا يقول بقدسية السوق ولا بأن أخلاقه وقوانينه هى مصدر التشريع، ولا بقدسية كليشيات البروياجندا مثل لا دين فى السياسة، ولا بحق النيوليبرالية فى التدخل الإنسانى والاقتصادى فى شئون الشعوب، كما فعلت الولايات المتحدة وبريطانيا وأتباعهما فى العراق<sup>(٥٢)</sup>، ولا تريد تلك القوى إسلام أمة الإسلام التى تتعاطف وتتكافل وتتآزر وتتحد - مثل الاتحاد الأوروبى ومثل الناتو - ولكن لتعمل لصالحها ولصالح البشرية.

### اعتراضات ومخاوف من تطبيق الشريعة

لكن على أى أساس يتخوف البعض هنا فى مصر، ويرفض البعض الآخر تطبيق مبادئ الشرع ويرفض من ينادى بتطبيقها، أو كما يقولون عنهم: المتأسلمون، أو الـ «Islamists»، أو الإسلام السياسى؟. سأحاول هنا بإيجاز توضيح أهم وأكثر الاعتراضات شيوعاً وأجدرها بالبحث والمناقشة:

(٥٢) طبق بريمر الحاكم العسكرى الأمريكى للعراق النيوليبرالية فى العراق بتخصيص كل المشاريع العراقية العامة، وفتح الأبواب على مصراعها للشركات والبنوك الأجنبية مع حرمتها الكاملة فى تحويل كل أرباحها خارج العراق، وإزالة كل ما يعيق انسياب البضائع والخدمات والأموال وخاصة البترول، فحاز هذا الحسينين: التدخل الإنسانى لفرض النيوليبرالية، ثم فرضها الفعل على الشعب العراقى، المنكوب بالمصيتين.

## ١- فصل الدين عن السياسة

### لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين

لم تخل أى حكومة إسرائيلية منذ قيامها فى ١٩٤٨ من مشاركة الأحزاب الدينية، ولم نسمع أحدًا فى إسرائيل، أو أمريكا أو أوروبا يسك مصطلح «Jndaist» ولا يطالب بفصل الدين عن السياسة!

بل إن وزير الداخلية الحالى فى إسرائيل هو الحاخام إيلى يشاى رئيس حزب شاس، وهو ليس حزبًا دينيًا فقط، بل هو حزب دينى متطرف، ولو كان هذا الحزب إسلاميًا لأطلق عليه الغرب أنه حزب أصولى إرهابى.

وتعددت الأحزاب الدينية فى أوروبا، على سبيل المثال فى ألمانيا وفرنسا وإيطاليا، وغيرها. وكثير من هذه الأحزاب كاثوليكية، رغم العقبة بين الديمقراطية والكاثوليكية.

فالكاثوليكي مُلزم بطاعة البابا، الذى هو معصوم، والذى هو يحلل ويحرم، ويُدخل المسيحي الجنة أو يحرمه منها، والذى هو وكيل أو ممثل - أو حتى فى بعض الأحيان عندما تتضخم شخصيته وتسمح الظروف، هو تجسيد للمسيح على الأرض - وهذه العقبة هى التى جعلت لوك يمنع التسامح مع الكاثوليك فى إنجلترا - لأن لهم رئيس خارج إنجلترا - وهى التى جعلت الأمريكين يشورون عندما فكر أحد

الكاثوليك في ترشيح نفسه للرئاسة في مطلع القرن العشرين<sup>(٥٣)</sup>، ولذلك لم يتول رئاسة أمريكا إلا كاثوليكي واحد - جون كينيدي، والذي تبرأ من طاعته السياسية للبابا قبل الترشح، والذي اغتيل - ضمن ٤٤ رئيسًا پروتستانتيًا.

وتذكر «موسوعة كمبريدج للتاريخ: الفكر السياسي في القرن العشرين» عن الأحزاب الدينية في أوروبا:

كان أول تدخل مباشر للكاثوليك في السياسة له أثر مهم كمؤشر للديمقراطية المسيحية ... وكان الشخصية المحورية أسقف ماينز الكاثوليكي «ويليام إيمانويل فون كتلر» ... لم يقف كتلر عند الجدل بأن المجتمع بما فيه الاقتصاد ينبغي أن يقوم على مبادئ الأخلاقيات الدينية والإحسان والتراحم، بل تطرق إلى الحديث عن المشكلات السياسية والمؤسسية، وحث الكاثوليك على تقبل المجتمع الحديث ومؤسساته الحكومية، كما كان يرى أن الدولة - بينما تحترم الحكم الذاتي للأفراد والمنظمات - لا بد أن تكون هي الضامن للسلام الاجتماعي القائم على الإيمان والوحدة بين الطبقات الاجتماعية المختلفة.

كما شارك كتلر في صناعة حزب الوسط **Zentrum**.

---

(٥٣) اقرأ في «كيف نفهم الأصولية البروتستانتية والإيفانجيليكية»: أشعلت حملة سميث جدلاً عنيفاً ضد الكاثوليكية في قلب البروتستانت المحافظين، وقالوا: غداً قد يكون لدينا سميث، وبعد غد سيكون لدينا البابا - صفحة ٧٩، والكتاب من منشورات مكتبة الشروق الدولية.

جمع حزب الوسط بين الدفاع الصارم عن المبادئ الكاثوليكية والاستقلال السياسي عن روما.

ربما يكون هو [حزب الوسط] الداعم الأساسي للجمهورية؛ حيث شارك في جميع تحالفات الحكومة، وحصل على رئاستها تسع مرات من أصل عشرين، في قيامه بهذا الدور كان لا بد أن يدافع بالطبع عن مصالح الكنيسة الكاثوليكية.

تراوحت [قوته الانتخابية] ما بين حد أقصى ١٩,٧٪ في ١٩١٩، إلى حد أدنى ١١,٢٪ في ١٩٣٣.

ثم تنتقل الموسوعة إلى فرنسا:

في فرنسا، دعمت أزمة الثقافة الوضعية، والإحياء الروحاني، إلى جانب دعوة البابا ليو الثالث عشر لرفع شأن مؤسسات الجمهورية الثالثة، دعمت جميعها نمو الديمقراطية المسيحية.

كانت «سيلون» هي الجريدة الناطقة باسم الحركة التي أسسها مارك سانجنيه، وكانت أيديولوجيتها تقوم على فكرة الديمقراطية التي يشارك بها الجميع، والمستوحاة من المسيحية.. وفي عام ١٩٢٤، استطاع [سانجنيه] أن يكون الحزب الديمقراطي الشعبي، وكان لعمله أعظم الأثر في الكاثوليكية السياسية الفرنسية التي أسهمت في كل من حركة المقاومة وإقامة الحزب

المنادى بالديمقراطية المسيحية فى فترة ما بعد الحرب،  
وهو الحركة الجمهورية الشعبية.

أما فى إيطاليا، فذكرت الموسوعة القس لويجى ستروز الذى أسس  
الحزب الشعبى الإيطالى فى عام ١٩١٩:

بعد إنشائه بفترة وجيزة، حقق الحزب نجاحًا لا  
بأس به فى أول انتخابات تُقام فى إيطاليا بعد الحرب  
العالمية الأولى، وبحصوله على ٦, ٢٠٪ من الأصوات  
الانتخابية، أصبح هو الحزب الثانى فى إيطاليا بعد  
الحزب الاشتراكى.

وتحت عنوان:

[أوروبا]: «بعد ١٩٤٥: الديمقراطية المسيحية فى السلطة»

جاء فى الموسوعة ما يلى:

أثناء الحرب وبعدها، كان على الأحزاب الديمقراطية  
المسيحية أن تتكيف، ليس مع الكاثوليكية السلطوية  
والمحافظة التى عرفت بولائها للنظم الفاشية فحسب،  
وإنما مع المجموعات الكاثوليكية التقدمية الموالية  
للأفكار الماركسية كذلك؛ ولكن رغبتهم فى الحرب ضد  
الشيوعيين قربت بينهم وبين المحافظين، وفى تحالفاتهم  
مع هؤلاء كانوا فى بعض الأحيان يمثلون الثقل الأكبر.  
حدث ذلك للحزبين الديمقراطيين المسيحيين الكبيرين:

الديمقراطى المسيحى الإيطالى DC والديمقراطى المسيحى الألمانى CDU /CSU وكلاهما تقلد السلطة بعد الحرب، وأصبح الحزب الرئيسى فى النظام السياسى الذى قام فى النصف الثانى من القرن العشرين.

ووفقاً لصناديق الاقتراع، كان الحزب الديمقراطى المسيحى الإيطالى DC بغير منازع، هو أكبر الأحزاب الإيطالية منذ ١٩٤٦ حتى ١٩٩٢، حيث تراوحت نسبة التصويت له بين ٣٥٪ و ٣٨٪ لعقود طويلة، وبلغت أعلى نقطة سجلها ٤٨٪ (وهو عام الصدام الكبير مع الجبهة الشعبية)، وأكثر النقاط انخفاضاً ٢٩,٧٪ وهى التى سجلها فى ١٩٩٢، وهو العام الذى وقعت فيه الأزمة التى أدت إلى اختفائه بعد فترة انحدار بطيء فى الثمانينيات. كذلك كان الحزب الديمقراطى المسيحى الألمانى CDU /CSU هو أكبر الأحزاب فى ألمانيا باستثناء الأعوام ١٩٧٢، ١٩٨٨، ٢٠٠٠؛ وكانت النسب التى يحصل عليها فى الاقتراع تتراوح ما بين ٤٢٪ و ٤٨٪، ولكنه حصل على أغلبية ساحقة فى ١٩٥٧ عندما فاز بنسبة ٥٠,٢٪. وقد بقى الحزب الديمقراطى المسيحى الإيطالى DC فى الحكم من ١٩٤٥ إلى ١٩٩٣ دون انقطاع؛ فى حين بقى الحزب الديمقراطى المسيحى الألمانى CDU /CSU فى الحكم من ١٩٤٩ إلى ١٩٩٨

بفترة توقف استمرت ثلاثة عشر عامًا (١٩٦٩ - ١٩٨٢) عندما كان هناك ائتلاف ديمقراطي اجتماعي - ليبرالي في السلطة؛ ودائمًا ما كان الحزبان يكونان حكومات ائتلافية عندما كانت لهما الأغلبية في البرلمان.

أصبح الحزبان حزبين جماهيريين. وبدءًا من الستينيات فصاعدًا تساوت أعداد أعضاء الحزب الديمقراطي المسيحي الإيطالي مع أعداد أعضاء الحزب الشيوعي الإيطالي PCI بل وفاقتهما، حتى إن عددهم وصل إلى ١,٨٠٠,٠٠٠ عضو. ورغم اختلاف الحزبين الألمانيين في منهجى نشاطهما فإن عدد أعضاء الحزب الديمقراطي المسيحي الألماني CDU بلغ ٧٠٠,٠٠٠ عضو في الثمانينات كما بلغ عدد أعضاء الحزب الاجتماعي المسيحي الألماني CSU ٢٠٠,٠٠٠ عضو. كان كلا الحزبين الديمقراطيين المسيحيين الإيطالي والألماني هما السبب الرئيسي في إعادة بناء بلديهما، فقد شجعا على إنعاش الاقتصاد وتقوية المؤسسات الديمقراطية وإعادة دولتيهما إلى نسيج المجتمع الدولي بعد المأساة القومية التي خلفتها النازية والفاشية.

ولا شك أن الفكر الديمقراطي المسيحي أسهم في خلق نموذج معدل للتنمية بدلًا من القبول الكامل

بالنموذج الرأسمالي، وقد أسهم الحزبان الديمقراطيان المسيحيان في ألمانيا في توسيع دولة الرفاهة وتقويتها منذ الخمسينيات، بل إن دولة الرفاهة اتسعت في إيطاليا لدرجة أن تحولت إلى نظام للصدقة له زبائنه؛ وقد استأنف الحزب الديمقراطي المسيحي ممارسة تدخل الدول في الاقتصاد موسعاً ذلك في مجال الصناعة، وهو ما بدأه النظام الفاشي. أما حزبا ألمانيا فقد كانا أكثر احتراماً لاستقلالية المؤسسات الصناعية الضخمة حتى وإن بقي الكثير من الشركات الكبرى تحت سيطرة الشعب. وقد قام الحزبان الديمقراطيان المسيحيان في ألمانيا وإيطاليا بتحديد مصير دولتهما في مجال السياسة العالمية باختيارهما للغرب، والتحالف مع الولايات المتحدة، الذي تأكد من خلال حلف الأطلنطي، (الأمر الذي لقي الكثير من المعارضة من قبل اليسار في كلتا الدولتين)، والخيار الأوروبي وعقد اتفاقية الفحم والفولاذ التي كانت النواة للاتحاد الأوروبي الحالي. وقد بقي الحزبان على ولائهما لكل خيارات مؤسسيهما.

عادة ما يوضع الفرنسي روبرت شومان Robert Schuman إلى جانب الإيطالي أكسيد دي جاسبري Alicide De Gasperi والألماني كونراد أديناور Konrad Adenauer كأحد مؤسسي الاتحاد

الأوروبي *European Community*. كان شومان عضواً في حزب ديمقراطي مسيحي آخر في فترة ما بعد الحرب: هو حزب الحركة الجمهورية الشعبية *MRP*؛ وعلى النقيض من الأحزاب الأخرى كان هذا الحزب، الذي هبطت نسب التصويت له هبوطاً حاداً من ٢٨٪ في ١٩٤٦ إلى ١٠٪ في ١٩٥٦ قد راح دوره يتضاءل في الجمهورية الفرنسية الرابعة؛ حيث اختفى تماماً باختفائها، أما أثناء الجمهورية الخامسة فإن الديمقراطيين المسيحيين كونوا أحزاباً صغيرة في إطار تحالف يمين الوسط بقيادة الديجوليين. وكان *MRP* هو أكثر الأحزاب التي بقيت على ولائها للمبادئ الديمقراطية المسيحية، وربما كان سبب ذلك في أن وضع نفسه في يسار الوسط على خارطة الأحزاب، وهو الموقف الذي جعله لا يجتذب دعم جميع الكاثوليك الفرنسيين<sup>(٥٤)</sup>

لم نسمع أحداً في أوروبا أو أمريكا أو مصر، يطلق لقب *Chrystianist* على المسيحي الذي يعمل بالسياسة، أو ما يقابل لقب المتأسلم من ألقاب مثل المتأسيح أو المتمسح.

ولا يفوتنا هنا ذكر الدور الرئيسي الذي قام به بابا الفاتيكان السابق والكنائس الكاثوليكية في بولندا وألمانيا الشرقية ورومانيا في

---

(٥٤) صفحات ٢٣٣ إلى ٢٤٦ من المجلد الأول، والموسوعة من منشورات المركز القومي للترجمة بتاريخ ٢٠٠٩.

انهيار الاتحاد السوفيتي، ونقتبس من كتاب «سياسي الله - God's Politician» - من منشورات faber & faber - ما يلي:

البابا ليس الزعيم الروحي لتسعمائة مليون كاثوليكي فقط، ولكنه أيضًا رجل دولة على مستوى أهمية الرئيس جورج باتشوف والرئيس بوش [الأب].

الفاتيكان أصغر دولة مستقلة، ولكن لها نفوذ سياسي واسع في المجال الدولي.

وكتب جورج باتشوف عن البابا في جريدة LaStampa الإيطالية التي تصدر في ميلانو، بتاريخ مارس ١٩٩٢:

كل ما حدث في أوروبا الشرقية في السنوات الأخيرة، ما كان ليحدث بدون الدور السياسي للبابا على المسرح العالمي ... وسوف يستمر البابا جون بول في ممارسة نفوذه السياسي المهم - مقدمة الكتاب vii , xii.

وقبل الانتقال إلى الولايات المتحدة في أقصى الغرب، نصوب أنظارنا إلى أقصى الشرق: ماليزيا وإندونيسيا.

الأولى بها ثلاثة أعراق، والمسلمون حوالي ٦٠٪ من السكان أو أقل قليلاً، والثانية بها عشرات الأعراق، والمسلمون بها بين ٨٥٪ و ٩٠٪. الدولتان بهما أحزاب إسلامية، والدولتان تتمتعان بديمقراطية أعلى من معظم، إن لم يكن كل الدول العربية، وكذلك تتمتعان بمعدلات تنمية أعلى من مصر، ومن كثير من الدول العربية.

## ولكن ما هي السياسة؟

جاء في كتاب «الدين والسياسة في الولايات المتحدة» لأستاذين في العلوم السياسية والدراسات الدينية في الولايات المتحدة<sup>(٥٥)</sup> ما يلي:

### تعريف السياسة

هناك تعريفات عديدة للسياسة... [منها] المهام المنوطة بها الحكومة وتأثير الحكومات على الشعوب، والطرق التي تعمل بها، والسلطة التي يلجأ إليها قادتها للحصول على السلطة والاحتفاظ بها. وهنا تعريف آخر يركز على استخدام السلطة، فعلى سبيل المثال عرّف روبرت دال السياسة على أنها «علاقات إنسانية تتطلب إلى حد كبير السيطرة أو النفوذ أو القوة أو السلطة».

هناك تعريف آخر يركز على تحديد القيم. فقد عرّف دافيد إيستون السياسة على أنها تحديد السلطة لقيم المجتمع<sup>(٥٦)</sup>. وهذا التعريف وما شابهه من تعريفات

---

(٥٥) «Politics And Religion in The United States» ميشيل كوربت، وچوليا كوربت، من منشورات جارلاند پابليشينج ١٩٩٩، ترجمته مكتبة الشروق الدولية، وطبعته ثلاث طبعات آخرها ٢٠٠٦.

(٥٦) ولذلك قال توني بلير: دخلت عالم السياسة لأطبق المبادئ المسيحية التي تربيت عليها.... القيم بدون سياسة لا وزن لها.

ويقول جون بيرتون راعي بلير وكاتب قصة حياته، في كتابه «We Dont Do God: Blaires Religion Belief And Its Consequences» من منشورات Continuum، ٢٠٠٩: استغل بلير كل فرصة طوال مدة رئاسته ليشرح كيف تضافرت معتقداته الدينية مع معتقداته السياسية...»

يُعتبر أكثر التعريفات السياسية شيوعاً وقبولاً من جانب علماء السياسة - صفحة ١٣، ١٤ .

وقد بدأت مقدمة الكتاب المذكور بالفقرات الآتية:

استخدم الرئيس كليتون في خطابه الافتتاحي سنة ١٩٩٧ استعارة من التواراة حينما قال: «استرشاداً بالرؤية القديمة لأرض الميعاد، فلنوجه أبصارنا اليوم إلى أرض ميعاد جديدة». لقد اعتمد الرؤساء الأمريكيون بدءاً من جورج واشنطن فصاعداً على الحس الديني، وليس للتأثير على عقول أبناء الشعب فحسب، بل على أفئدتهم أيضاً لتأييد الأهداف الرئاسية.

فإن الدين والسياسة شكلاً نسيجاً متداخلاً عبر تاريخ الولايات المتحدة منذ الفترة الاستعمارية وحتى وقتنا الحاضر. لذا، فإن كتاب «الدين والسياسة في الولايات المتحدة» يقدم رؤية شاملة للطرق التي ساعدت على تفاعل كل من الدين والسياسة في الولايات المتحدة وسوف نتناول قصة هذا التفاعل المستمر في عدة أبواب.

---

= لم يكن هناك مطلقاً أى فصل بين سياساته ومسيحيته - XX، XV .

والكتاب تسجيل دقيق للمزج الكامل بين سياسة بليز ومسيحيته.

أما جورج بوش، فقد قال - لمن كان يدرس معهم الكتاب المقدس - قبل ترشحه للرئاسة «لقد استدعيت لكرسي الرئاسة - I have been called to the Higher Office»

تعد هذه المقدمة أساس العمل؛ حيث يتم تحديد شروط هذه العلاقة وتقديم وصف عملي لكل من الدين والسياسة، مع إيضاح سبب الارتباط الضروري بينهما فى الولايات المتحدة. كما أنها تقدم دراسة نمطية مختصرة عن الاحتمالات المنطقية لهذه العلاقة.

ينقسم هذا الكتاب إلى أربعة أجزاء، ويتضمن كل منها عدة فصول .

يتعرض الجزء الأول (الدين والتاريخ) لطبيعة هذه العلاقة فى الماضى. يتناول من خلال فصوله التجربة الاستعمارية، وأهداف المؤسسين الأوائل فى الحقبة الزمنية من عام ١٨٠٠ إلى عام ١٩٥٩، ومن عام ١٩٦٠ حتى الوقت الحاضر، ومما هو جدير بالذكر أن القضايا الخاصة قد تتغير بمرور الوقت، ولكن العلاقة بين الدين والسياسة تظل هى الوتيرة السائدة عبر التاريخ.

يتعرض الجزء الثانى (الدين والتعديل الأول) لتاريخ العلاقة القانونية بين السياسة والدين. ويتناول هذا الجزء من خلال فصوله البند الخاص بالكنيسة الرسمية. والبند الخاص بحرية الممارسة الدينية، والخلاف القائم بينهما.

يستعين الجزء الثالث (الدين والرأى العام) بمعلومات مستقاة من استطلاعات الرأى، لتوضيح مدى انعكاس

العلاقة بين الدين والسياسة على الرؤى السياسية والاجتماعية للأفراد في الوقت الحالى. يعقب الفصل الذى يتناول الدين والرأى العام فصول أخرى، يتم فيها تحليل الروابط بين الدين والسياسة من وجهة نظر الأمريكيين البيض والسود؛ حيث إن المجموعتين تختلفان اختلافاً كبيراً فى رؤيتهما لتلك الروابط.

يتكون الجزء الرابع (نتائج المؤثرات الدينية على السياسة) من فصلين، يتم فيهما استعراض دور هذه العلاقة وما انتهت إليه فى الوقت الحاضر؛ حيث إن الجماعات الدينية تحاول التأثير على السياسة العامة، كما يحاول الأفراد تصور الشكل الذى يجب أن تكون عليه هذه العلاقة.

والى جانب الموضوع الرئيسى للكتاب، وهو العلاقة بين الدين والسياسة، فهناك عدد من الأسئلة والقضايا التى يتم طرحها فى كثير من الفصول المذكورة آنفاً. بعض هذه الأسئلة والقضايا مذكورة فيما يلى:

\* تنظيم الحياة الشخصية.

\* شن الحرب وتفهمها أو تبرير أسبابها: لقد أثر الدين منذ الثورة الأمريكية وحتى حرب الخليج على رؤىة الناس للحرب. وهذه الرؤىة انقسمت إلى رؤىة تعارض الحرب وأخرى تؤيدها.

\* العلاقة بين الجماعات: اعتاد الدين - على سبيل المثال - تشجيع كلٍّ من العبودية وإلغائها في الوقت نفسه، وبالمثل تشجيع الفصل العنصرى والاندماج فى آنٍ واحد.

\* غالبًا ما كان الدين فى الولايات المتحدة داعمًا بصفة عامة للحكومة. ولكن كثيرًا ما شكّل الأفراد والجماعات تحديًا خطيرًا تجاه إجراءات معينة.

\* الدين والعملية الانتخابية: لعب الدين - إلى جانب عوامل أخرى - دورًا مؤثرًا فى سلوكيات الناخبين عبر التاريخ. فعلى سبيل المثال، يتجه اليهود والكاثوليك لانتخاب المرشحين الديمقراطيين أكثر من الناخبين البروتستانت. وقد أثر الدين أيضًا على طريقة عرض المرشحين والمسئولين المنتخبين لقضاياهم على عامة الناخبين - صفحة ٨ - ١١.

### نعود لمصطلح فصل الدين عن السياسة

ربما يكون هذا المصطلح من أكثر المصطلحات تداولًا اليوم فى مصر. فما هو أصله؟ هل هو تنزيل سماوى يجب الانصياع له؟ أم هل هو فكرة بشرية؟ غربية أم شرقية؟ أم فكرة محرفة من أصلها إن كان لها أصل؟ وما هو سياقها وسياق تطورها؟.

## الدين فى السياسة الأمريكية ما لا يتناوله الإعلام المصرى ولا العربى

يجدر بنا قبل أى بحث ومناقشة أن نفيد القارئ هنا بما لا يتناوله  
الإعلام المصرى ولا العربى:

\* أطلقت نيوزويك على عام ١٩٧٦: عام الإيفانجيليكي، بمناسبة  
ارتفاع مد اليمين المسيحي فى أمريكا، ووصول كارتر «المولود ثانياً -  
Born Again» إلى كرسى الرئاسة.

\* قال كارتر فى كتابه «Living Faith» الذى نشرته «Times  
Books» مرتين فى ١٩٩٦، ١٩٩٨، فى صفحة ١١٧: «Civil  
disobedience is in order when human laws are  
contray to God's commands to us .... we are not  
required to submit to the domination of authority  
without assessing whether it is contrary to our faith  
or our beliefs»

وملخص ترجمة قول كارتر: العصيان المدنى مبرر إذا خالفت  
قوانين البشر قوانين الله ... ليس علينا الخضوع لسيطرة السلطات  
بدون تقييم ما إذا كانت مخالفة لإيماننا ومعتقداتنا.

ليس قول كارتر هو نفسه ما حاصر د. الأسوانى وفودة د. مرسى  
عليه باعتباره تهمة تستدعى إنكارها أو التوبة منها؟ والطريف فى أمر  
كارتر «الإيفانجيليكي»، أنه برغم مقولته تلك التى شكلت سياسته،

يروى فى كتابه أن اثنين من ممثلى مؤتمر المعمدانيين الجنوبيين زاراه فى مكتبه فى البيت الأبيض، وعند مغادرتهما مكتبه البيضاوى قال له الرجل وزوجته مودعين: «We are praying Mr President that you will abandon secular humanism as your religion»

نحن نصلى لك، السيد الرئيس، حتى تتخلى عن الإنسانية الزمنية كدين - صفحة ٣٥.

وقال كارتر أمام الكنيست الإسرائيلى فى مارس ١٩٧٩:

«جسد من سبق من الرؤساء الأمريكيين الإيمان بأن جعلوا علاقات أمريكا مع إسرائيل أكثر من علاقات خاصة، إنها علاقات فريدة لأنها متأصلة فى ضمير الشعب الأمريكى، وفى أخلاقه وفى دينه وفى معتقداته... إننا نتقاسم معكم تراث التوراة» - كتاب «المسيح اليهودى ونهاية العالم» رضا هلال، صفحة ١١٧.

\* كان الرئيس رونالد ريجان - الذى انتخبه الشعب الأمريكى مرتين، مثل جورج بوش الابن - يرفع الكتاب المقدس فى يده قائلاً: فى هذا الكتاب حل مشاكل أمريكا.

وأقوال وأفعال ريجان التى امتزجت فيها معتقداته الدينية بسياسته سجلتها الكاتبة الراحلة جريس هالسيل، وترجمها محمد السماك فى عدة كتب أصدرتها دار الشروق منها: يد الله - النبوءة والسياسة. ويظهر فيها الرئيس الأمريكى مؤمناً إيماناً كاملاً بقرب نشوب معركة هر مجدون

التي جاءت في آخر أسفار الإنجيل، سفر رؤيا يوحنا - والتي تمثل حجر الأساس لدعم المسيحيين في أمريكا وأوروبا لإسرائيل - والتي أولها علماء الإنجيل - خاصة من اليمين المسيحي - بأنه واجب على كل مسيحي دعم إسرائيل حتى تنشب معركة هر مجدون التي يموت فيها ثلث البشر حتى يهبط<sup>(٥٧)</sup> المسيح بسلام ويحكم العالم بسلام. ونذكر القارئ بأن ريجان في استطلاعات رأى الشعب الأمريكي يحتل مرتبة متقدمة في قائمة أفضل رؤساء الولايات المتحدة.

\* دور بابا الفاتيكان السابق جون پول في انهيار الشيوعية والاتحاد السوفيتي، والذي تحدثت عنه مختلف وسائل الإعلام، ونخص بالذكر الكتاب الذي نُشر عن دوره السياسي «سياسي الله - God's Politician»، دافيد وايلى، من منشورات faber and faber، ١٩٩٢.

\* قول نتنياهو في الولايات المتحدة في أواخر القرن الماضي: نحن نسير على خطى آباءنا من اليمين المسيحي. وكان ذلك بعد أن قال له جيرى فالويل<sup>(٥٨)</sup>: لا تتخلي عن شبر واحد من أرض إسرائيل التوراتية. والطريف في أمر نتنياهو أنه ظهر مع لارى كينج في برنامجه المشهور، وحتى يكتب عطف الجمهور الأمريكي، قال إنه يتدارس الكتاب المقدس كل يوم سبت مع ابنه، وأن ابنه أصبح عالمًا بالكتاب المقدس وحصد جائزة محلية وأخرى دولية.

---

(٥٧) بالطبع ذلك الثلث هو من العرب والمسلمين ومن يقف معهم ضد إسرائيل.  
(٥٨) جيرى فالويل أحد دعاة اليمين المسيحي والذي استمع له الملايين، والذي كانت له جامعة خاصة ووسائل إعلام ودعاية خاصة، وطائرة خاصة، فتأثيره في أمريكا مثل تأثير الشعراوي والغزالي والقرضاوى وعمر عبد الرحمن مجتمعيين، وربما أكثر.

\* حتى كليتون الذي لم يشتهر بالتقوى والاستقامة قال: قال لى كاهن كنيسة: الرب سيغفر لك كل شيء، إلا أن تتخلى عن إسرائيل.

\* أما جورج بوش الابن- الذي قال إن الله استدعاه لكرسى الرئاسة، قال فى شرم الشيخ إن الله قال له: يا جورج... اذهب وأطح بصدام حسين ففعلت... اذهب وحارب الإرهابيين فى أفغانستان ففعلت... وقال للرئيس الفرنسى شيراك: إنا ذاهبون للقضاء على يأجوج ومأجوج! - كتاب «لو كررت ذلك على مسمى فلن أصدقه!» للإعلامى الفرنسى الشهير چون كلود موريس، دار نشر بلون الفرنسية، فى ٢٠٠٩.

يستحق هذا الشعار: فصل الدين عن السياسة، الذى ترده يومياً عشرات المرات بعض القوى السياسية، والمنظمات غير الحكومية، ووسائل الإعلام، ويرفعه البعض إلى مرتبة مقدسة - مثلما قدس البعض حرية الأسواق وجعلها مصدرًا لكل القيم والأخلاق، حتى عد الرجوع عنها بمثابة الارتداد عن دين مقدس - أن نفرده بضع صفحات إضافية نستجلى بها كنهه أو كهنوته.

جاء فى موسوعة بريتانیکا:

### الكنيسة والدولة

العلاقة بين السلطة الدينية والسلطة «العلمانية»<sup>(٥٩)</sup> -  
 Secular «فى المجتمع».

(٥٩) مصطلح علمانية هو الآخر من المصطلحات التى أسىء ترجمتها بشكل فادح، والترجمة الصحيحة لها «غير إكليريكى»، أو «غير كنسى»، أو «أرضى» فى مقابل «سماوى»، أو «لا دينى» فى مقابل «دينى»، أو «زمنى» فى مقابل «أبدى» وأصلها باليونانية واللاتينية «لايكوس Laikos - Laicus»، وسنختار هذه الترجمة الأخيرة فيما يلى من صفحات الكتيب.

لم تتضح معالم للفصل بين الأنظمة الدينية والسياسية  
فى معظم الحضارات القديمة. ومع ظهور المسيحية  
بزغت فكرة الفصل بين النظام الدينى والنظام السياسى  
بقول المسيح: إعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله<sup>(٦٠)</sup> -  
إنجيل مرقس ١٢: ١٧.

ومع هذا، استمر الترابط القوى بين الدين والسياسة،  
حتى بعد انتصار المسيحية، فمارس الإمبراطور قسطنطين  
السلطة على كل من الكنيسة والدولة<sup>(٦١)</sup>.

دعا الحكام «الزمنيون» أنهم يحكمون بنعمة الله،  
وبفضل الله «Grace of God»، ثم تصارع كل من  
الباباوات والأباطرة لحكم العالم كله<sup>(٦٢)</sup>.

---

(٦٠) طبقاً لما جاء فى الإنجيل، أراد بعض اليهود إيقاع المسيح فى خصومة مع الحاكم  
الرومانى، فسألوه عن الجزية، فإذا قال لا تدفعوها اعتقلته السلطات الرومانية، وإذا  
قال ادفعوها، سقط فى أعين اليهود الثوار على الرومان.

(٦١) الإمبراطور قسطنطين هو الذى أعلن المسيحية ديناً رسمياً للإمبراطورية الرومانية،  
وكان ذلك بعد أن رأى حليماً - أثناء فترة قتاله ليصبح الإمبراطور - أنه سينتصر على  
أعدائه فى الحرب إن قاتلهم تحت شعار المسيح. وقسطنطين هو الذى أمر بعقد مجمع  
نيقيا سنة ٣٢٥م ليضع فيه العقيدة المسيحية.

(٦٢) اعتمد الباباوات على نص فى الإنجيل يقول فيه المسيح لبطرس: ...وأعطيك مفاتيح  
ملكوت السموات، فكل ما تربطه على الأرض يكون قد رُبط فى السماء، وما تحله على  
الأرض، يكون قد حُل فى السماء - متى ١٦: ١٩، فأولوا النص بأنهم يفتحون اللجنة  
لمن يريدون، ويحرمونها على من يريدون، وأن لهم سلطة التحريم والتحليل، وأنهم  
معصومون، وزاد بعضهم فقال إنه تجسيد للمسيح على الأرض.

أثناء أزمة تقليد المناصب الكهنوتية<sup>(٦٣)</sup>، فصلت الكنيسة بين سلطتها وسلطة البابا أو الملك، برغم أنها وضعت الأساس لما يُسمى الملكية الباباوية<sup>(٦٤)</sup>.

قلص الإصلاح [البروتستانتية] كثيرًا من السلطة الباباوية، وتأرجح البندول لجانب الدولة، مع زعم كثير من الملوك بحقهم الإلهي «Divine Right» في حكم الكنيسة والدولة<sup>(٦٥)</sup>.

ظهر مفهوم الحكومة «الزمنية» كما صورته الولايات المتحدة وفرنسا، تحت تأثير مفكرى التنوير. واليوم في أوروبا الغربية، تحمي كل الحكومات حرية العبادة<sup>(٦٦)</sup> وتضع تمييزًا بين السلطة المدنية والسلطة الدينية.

---

(٦٣) من له الحق في تعيين المناصب الكهنوتية العليا: البابا، أم الإمبراطور أو الملك؟  
(٦٤) أى يكون البابا هو نفسه الملك أو الإمبراطور، وتلك لها أصل في الكتاب المقدس: ملكى صادق. ولذلك جاء باباوات تسموا بأسماء القياصرة والفاطمين، وكونوا جيوشًا وعملوا على توسيع حدود دولتهم. اقرأ ما كتبه ول ديورانت في قصة الحضارة عن البابا إسكندر السادس: ولما سئل أى اسم يريد؟ أجاب: اسم الإسكندر الذى لا يقهر! وعلق ديورانت قائلاً: وكانت هذه بداية وثنية لولاية دينية وثنية - ج ٢٠ صفحة ٨٣، وانظر بعد ذلك: البابا المحارب يوليوس الثامن ج ٢٠ صفحة ١٤٤ وما تلاها.  
(٦٥) عاشت تلك الفكرة في أوروبا حتى نهاية القرن التاسع عشر، في فرنسا وفي ألمانيا على سبيل المثال.

(٦٦) ما يجرى في أوروبا والولايات المتحدة مع المسلمين لا يتفق مع هذا الزعم، وقال الدكتور خالد أبو الفضل - أستاذ القانون في جامعة كاليفورنيا، وقد عمل مستشارًا دينيًا لجورج بوش سنوات قليلة استقال بعدها - إن هناك أكثر من عشر ولايات أمريكية شرعت حديثًا قوانين للتمييز ضد المسلمين، فيما يخص تطبيق الشريعة.  
ومن العجيب أن يتظاهر بعض الأمريكيين في نيويورك ضد إقامة مدرسة للثقافة العربية تحت اسم: جبران خليل جبران!

ويقوم النظام القانوني في بعض الدول الإسلامية الحديثة على الشريعة. في الولايات المتحدة، يشهد مجال التعليم العام مواجهات خلافية على قضايا مثل: الصلاة في المدارس، التمويل العام، تدريس نظرية الخلق<sup>(٦٧)</sup> - صفحة ٤٠٤.

يمكننا أن نلخص ما قالته بريتانكا بأنه حتى ظهور المسيحية، لم يكن هناك معالم للفصل بين الأنظمة الدينية والسياسية، ومع ظهور المسيحية برزت فكرة الفصل على أساس آية في الإنجيل، ولكن لم يتم الفصل بناءً على آيات أخرى رأى فيها الباباوات وآباء الكنيسة، مثل أوجستين وغيره، أن السلطة الزمنية، أى السياسية، يجب أن تخضع للكنيسة. وطبقاً لبريتانكا، نشب صراع بين الحكام «الزمينين» أى الأباطرة والملوك، والباباوات على حكم العالم بسبب اختلاف في تأويل آيات الكتاب المقدس، حتى ظهر مفهوم الحكومة الزمنية كما صورته الولايات المتحدة وفرنسا في نهاية القرن الثامن عشر.

### فلنذهب للولايات المتحدة لنرى ماذا حدث هناك!

(٦٧) ربما تكون الولايات المتحدة هي الدولة الوحيدة في العالم التي سحنت مدرساً (سكويس) لأنه درّس نظرية داروين، فحاكمته في ١٠ - ٢١ يولييه ١٩٢٥، في دايتون في ولاية تينيسى، وأدانته. وضغط اليمين المسيحي المستمر على المدارس جعل نسبة معتبرة منها تدرس نظريته في الخلق بالتوازي مع نظرية داروين، ونسبة أخرى تدرس نظريته فقط ولا تدرس نظرية داروين أو ما يقوله العلم.

وجاء في كتاب «أصول التطرف: اليمين المسيحي في أمريكا» تحرير كيمبرلى بلاكر من منشورات New Boston Books، ميتشيجان، في صفحة ١٢٣ من ترجمته العربية: في أحد استطلاعات «جالوب - Gallup» عام ١٩٩٧، ذكر ٦٨٪ من الأمريكيين أنهم يعتقدون بوجوب تدريس قصة الخلق [التوراتية] إلى جانب نظرية التطور بالمدارس العامة.

## ٢. فصل الكنيسة عن الدولة الدين والسياسة فى الولايات المتحدة

العنوان الأعلى «فصل الكنيسة عن الدولة - Separation of Church and State» هو الأصل الذى خرجت من عباءته مصطلحات وأفكار فصل الدين عن السياسة فى مصرنا الحديثة، رغم أن المصطلح والمفهوم يذكر الكنيسة وليس الدين.

وحتى نلم بطريقة صحيحة بهذا المفهوم، يجب أن نأخذ من وقت القارئ بضع دقائق، نعود فيها معه إلى إنجلترا القرن السادس عشر، أو إنجلترا الملك اللعوب هنرى الثامن.

تزوج هنرى الثامن من كاترين أرملة أخيه بنت ملكى إسبانيا فرديناند وإيزابيلا، حتى لا تعود بثروتها الكبيرة لإسبانيا. ولما لم تنجب له ذكراً ولياً للعرش و/ أو أحب هنرى آن بولين، أراد من البابا كليمنت السابع إلغاء زواجه السابق من كاترين، فلما رفض البابا، مضى هنرى فى طلاقه وزواجه الجديد، فحرمه البابا، فخرج هنرى الثامن من الكاثوليكية، واعتنق پروتستانتية مختلفة عما جاء به مارتن لوثر - الذى كان هنرى قد سبه فى كتاب يدافع فيه عن البابا ويصف لوثر بالهرطيق، وكافأه البابا على ذلك فلقبه: المدافع عن الإيمان - فكان هنرى أراد أن يكون بابا البروتستانت الإنجليز، وهذا بالطبع يبين مدى فهم - أو إخلاص - الملك اللعوب لإصلاح مارتن لوثر، أو بالأحرى مدى جهل - أو عدم إخلاص - الملك للمذهب.

بدأ انتشار البروتستانتية في إنجلترا، وكان ذلك أمرًا طبيعيًا لما قاساه الإنجليز وقاسته أوروبا كلها من فساد واستبداد الكنيسة الكاثوليكية<sup>(٦٨)</sup>.

ومع انتشار البروتستانتية وأفكارها، تبين لمن اعتنقها في إنجلترا بُعد كنيسة إنجلترا الجديدة، عن البروتستانتية.

ظهرت طوائف بروتستانتية عديدة، وظهرت البيوريتانية «التطهيرية - Puritanism» في أواخر القرن السادس عشر، التي حاولت تطهير كنيسة إنجلترا من بقايا الكاثوليكية؛ مما أدى لنشوب الحرب الأهلية في إنجلترا في القرن السابع عشر، وهجرة الكثير من البيوريتانز إلى أمريكا العالم الجديد، ليعبدوا الله بالطريقة الصحيحة التي يريدونها.

عاشت إنجلترا القرنين السادس عشر والسابع عشر في تعاقب ملوك كاثوليك، وپروتستانت، وأنصاف كاثوليك وپروتستانت، وكذلك تعاقب لاضطهاد الكاثوليك، والپروتستانت، وأنصاف الكاثوليك والپروتستانت الذين تبعوا كنيسة إنجلترا. وانتهى الأمر باستقرار كنيسة إنجلترا بشكل

---

(٦٨) لم تظهر في تاريخ أوروبا مؤسسة سيطرت وهيمنت على حياة البشر بقدر ما فعلت الكنيسة. ابتزت أموال الناس، وصادرت حرياتهم وتدخلت في حياتهم - حتى معاشره الرجل لزوجته - وحتى قراءة الكتاب المقدس! وحرمتهم من متع الدنيا المباحة، وكانت لها محاكمها الخاصة في كل أوروبا، جيشت الجيوش وأشعلت المؤامرات والحروب، ومنها الحروب الصليبية داخل أوروبا وخارجها، ونصبت محاكم التفتيش، وساهمت = بالنصيب الأوفر في إحراق وقتل على الخوازيق عشرات الآلاف من النساء فيما هو معروف بمطاردة الساحرات، وبلغت بعض التقديرات مليون امرأة، وعاقبت العلماء، وكل ذلك في الوقت الذي عاش فيه الكثير من الباباوات عيشة الملوك والباطرة الفاسدين الفاسقين والمبذرين - يمكن قراءة ذلك في قصة الحضارة الأجزاء: ١٨، ٢٠، ٢١، ٢٢.

خاص من البروتستانتية، وتعرض الكاثوليك للاضطهاد حتى منتصف القرن التاسع عشر، إن لم يكن حتى نهايته، وحُرموا من المناصب العامة حتى صدور قانون ١٨٢٨ في إنجلترا الذي أباح لهم ذلك.

ونذكر القارئ بأن رسالة جون لوك - رائد رواد التنوير والليبرالية في عالم الغرب - في التسامح، رفضت أن يمتد ذلك التسامح ليشمل الكاثوليك، ناهيك عن اليهود والمسلمين.

كان هناك تمييز بين طوائف البروتستانت، ضد كل من لا تتطابق بروتستانتية مع كنيسة إنجلترا، وكان يعاقب على ذلك، باختلاف طريقة الصلاة أو أقوالها، أو التعميد أو ما إلى ذلك كان يُعَرَّض المسيحي البروتستانتى للعقاب الذى قد يكون دفع غرامة أو السجن، إلى أن صدر «قانون التسامح - Tolerance Act» في ١٦٨٩، الذى سمح بالعبادة البروتستانتية دون الاضطرار لأن تكون متوافقة مع طقوس كنيسة إنجلترا، وسمى أولئك البروتستانت بالـ «Nonconformists» أى غير المتوافقين - واستثنى قانون التسامح المسيحيين الموحدين «Unitarians» فلم يشملهم التسامح - ولكن ذلك التسامح لم يسمح للبروتستانت غير المتوافقين بتولى المناصب العامة.

انتقل كل ذلك إلى:

أرض الوعد الجديدة: أمريكا

وعندما قامت الثورة الأمريكية (١٧٧٥ - ١٧٨٣) على ظلم الملك الإنجليزي وحكومته، كانت كنيسة إنجلترا هى المهيمنة - وبجوارها

كنيسة أخرى هي كنيسة «Congregation» هيمنت على ثلاث ولايات - فكانت تجمع كل منها الضرائب لمصلحتها، وتُعاقب الطوائف البروتستانتية الأخرى، وتُعاقب قسوسها إذا ضبطوا متلبسين بالوعظ بما لا يتفق مع وعظها وطقوسها، وتراوح ذلك العقاب بين الغرامة والحبس<sup>(٦٩)</sup>. وكان ذلك يتم بقوة وسطوة الحكومة الإنجليزية - وقوة وسطوة حكومات الولايات - رغم أن معظم بروتستانت أمريكا كانوا غير متوافقين مع كنيسة إنجلترا «Nonconformists»، وتحملوا ذلك القمع والظلم إلى أن قامت الثورة، فزالت سلطة الحكومة الإنجليزية وسطوتها، وزالت معها سلطة كنيسة إنجلترا وسطوتها.

ذكرنا من قبل أنه قد ظهرت قبل قيام الثورة واستقلال أمريكا عدة طوائف بروتستانتية، وعانت كل تلك الطوائف - عدا التابعة لكنيسة إنجلترا طبعاً، وتمتعت كنيسة «Congregation» بوضع مشابه لكنيسة إنجلترا في ثلاث ولايات - من تأييد الحكومة الإنجليزية لكنيستها التي تُسمى بالإنجليزية «Established Church»، أى الكنيسة التي أسستها الدولة وتساندها الدولة - ويُمكن أن نطلق عليها بالعربية

---

(٦٩) جاء في كتاب «الفصل بين الكنيسة والدولة - Separation of Church and State» لمؤلفه فورست تشيرش من منشورات Beacon Press, Boston، ٢٠٠٤: كثيراً ما كان الوعاظ [غير المتوافقين] يُعتقلون في فيرجينيا بتهمة إزعاج الأمن. قال = الادعاء في قضية أسفرت عن حبس خمسة وعاظ معمدانيين: ... هؤلاء الرجال مصدر إزعاج كبير للأمن! ودافع باتريك هنرى - الذى تخصص في الدفاع عن المساجين بسبب مخالفتهم لكنيسة إنجلترا - قائلاً: هؤلاء الرجال متهمون بأنهم يوعظون بإنجيل ابن الله! وجاء في صفحة ١٧: كان المعمدانيون يدفعون غرامات، يُجلدون بالسوط، ويحبسون مراراً وتكراراً في ماسا تشوستس، بسبب مخالقات دينية.

«الكنيسة المؤسسة» - وتمنع مساندة بقية الكنائس، بل وتضطهدها.

طالبت الكنائس والطوائف البروتستانتية الأخرى من آباء الثورة، ومن معهم وحولمهم حمايتهم من هذا التمييز الديني، وإنهاء هذا الوضع، فماذا يفعل رجال الثورة، أو الآباء المؤسسون كما يُطلق عليهم في التاريخ الأمريكي؟.

هل يختارون طائفة أو كنيسة بروتستانتية أخرى يميزوها بوضع «الكنيسة المؤسسة - Established Church» على حساب الطوائف أو الكنائس البروتستانتية الأخرى؟ وعلى حساب كنيسة إنجلترا بالذات؟.

كان الوضع بعد نجاح الثورة والاستقلال مضطرباً ولا ينبئ بالنجاح ولا الاستقرار<sup>(٧٠)</sup>. فلم تكن إنجلترا راضية بذلك الاستقلال، وكانت فرنسا على الحدود الشمالية في كندا ذات أطماع استعمارية في نيوانجلاند، وإسبانيا تتربص في الجنوب والغرب، والسكان الأصليون - أو الهنود الحمر - على حدود الولايات من كل جانب، كل ذلك علاوة على أن هناك نسبة معتبرة من المهاجرين وقفت في صف إنجلترا، ونسبة معتبرة أخرى وقفت على الحياد في الحرب الثورية.

وبالطبع كانت كنيسة إنجلترا هي أولى الكنائس المستبعدة من وضع «الكنيسة المؤسسة»، فقد خاف الثوار أن تعمل لمصلحة التاج، وتعود بالحال لما كان عليه قبل الثورة.

---

(٧٠) لم يكن في ذهن الثوار إعلان الحرب على إنجلترا أو الاستقلال عنها، وكان كل طلبهم الأتفرض عليهم ضرائب بدون أن يشتركوا في البرلمان الإنجليزي، وتطورت المعارضة حتى أصبحت ثورة، ثم حرب ثورية، ثم استقلال.

جاء القرار بالألّا تساند الحكومة الفيدرالية أى كنيسة أو أى طائفة  
بروتستانتية على حساب الكنائس والطوائف البروتستانتية الأخرى،  
حتى لا يزيد الانشقاق الدينى - بين كنائس وطوائف البروتستانت - من  
خطورة الوضع.

بعث إيزاك باكوس، أحد قادة الكنيسة المعمدانية<sup>(٧١)</sup>، رسالة إلى  
جيفرسون يطلب حماية الدولة للكنيسة من الاضطهاد والقمع، وأنه  
قد أتهم بأنه خائن - رغم تأييده للثورة على الإنجليز - لأنه غير متوافق  
«Non conformist» مع كنيسة إنجلترا.

فى هذا السياق صدر التعديل الدستورى، والذى تُسمى مواده  
العشر الأولى وثيقة الحقوق، بمنع تأسيس دين، والمقصود به منع أن  
تدعم الدولة كنيسة بروتستانتية على حساب الكنائس الأخرى، ثم كتب  
توماس جيفرسون كلمته المشهورة: الفصل بين الكنيسة والدولة.

وهذا المصطلح أو المفهوم «الفصل بين الكنيسة والدولة» هدفه  
الرئيسى منع قمع الدولة للطوائف والكنائس البروتستانتية المتعددة فى  
أمريكا، ومنع تأييد وتمييز إحدى الطوائف والكنائس على الأخرى، فهو  
حماية للطوائف والكنائس البروتستانتية من الدولة.

ولكن من هو توماس جيفرسون الذى وضع التعديل الأول للدستور  
وجاء منه ذلك المفهوم والمصطلح الشهير؟

---

(٧١) صارت الكنيسة المعمدانية من أكبر طوائف البروتستانت فى الولايات المتحدة الآن، ومن أعمدة  
اليمن المسيحى، وهو الآن قوة كبيرة مؤثرة بشدة فى سياسة الولايات المتحدة داخلياً وخارجياً.

وُلد جيفرسون في ١٣ أبريل ١٧٤٣ في فيرجينيا، كانت له مزارع، وأصبح محامياً، وعضواً في برلمان فيرجينيا قبل الثورة.

أصبح حاكماً لفيرجينيا قبيل الثورة. شارك بكتابات عن حقوق الأمريكيين البريطانيين في تنوير الرأي العام الأمريكي، وشارك في المؤتمرات السياسية التي أسفرت عن المطالبة بالاستقلال، مما أدى في النهاية للثورة وحرب الاستقلال عن بريطانيا، وصاغ وثيقة الاستقلال.

بعثه جورج واشنطن - أول رئيس لأمريكا - سفيراً في باريس في ١٧٨٥، ثم عينه أول وزير للخارجية (١٧٩٠ - ١٧٩٣)، ثم أصبح نائباً لجون آدمز - الرئيس الثاني لأمريكا (١٧٩٧ - ١٨٠١) - وخلفه رئيساً لأمريكا دورتين (١٨٠١ - ١٨٠٩). تمتع جيفرسون بتعليم وثقافة عالية، ورؤية واسعة متنورة.

كان جيفرسون ربوبياً، مثله مثل ماديسون وفرانكلين وتوماس بين، وربما كان واشنطن أيضاً ربوبياً.

### فما هي الربوبية «Deism»؟

ظهرت الربوبية كرد فعل لأفكار التنوير الأوروبي وانتشرت من إنجلترا في مطلع القرن السابع عشر، (كرفض للمسيحية التقليدية) طبقاً لما جاء في برتانيكا، بينما جاء في «الدين والسياسة في الولايات المتحدة»: «أكدت العقلانية الدينية بشكل قوى على استخدام العقل في الدين والأمور الأخرى على السواء. ومن أجل استخدام العقل

فى الدين، يجب تبسيط المذاهب الدينية ونبذ نظريات اللاهوت غير الضرورية». والمقصود تجسيد الإله، والتثليث، والخطيئة الأصلية، وتحول الخبز والنبذ إلى جسد المسيح ودمه عند تناول القربان، ومثل هذا. وجاء فى «الدين والسياسة فى الولايات المتحدة»:

كان جيفرسون مسيحيًا أيضًا ولكن ليس بالمعنى التقليدى. لقد كان مسيحيًا بإيمانه القوى بتعاليم المسيح الأخلاقية. فقد نسب إلى المسيح كل الفضائل الإنسانية، ورفض ألوهيته، كذلك رفض معظم الأرثوذكسية التقليدية للمسيحية. وآمن جيفرسون بوجود حكمة عظيمة فى تعاليم المسيح، إلا أن هذه الحكمة قد حرفها آخرون مثل رجال الدين والمؤسسات الدينية المنظمة لأسباب أنانية. وأراد جيفرسون فك طلاسم وتبسيط تعاليم المسيح. ونادى بوجوب قراءة الناس الإنجيل بنفس طريقة قراءتهم أى كتاب آخر، وأن عليهم استخلاص جواهر الحكمة منه ونبذ الأجزاء الخاطئة. ولهذا فقد غربل وانتقى من الأناجيل العادية (مستخدمًا النسخ اليونانية واللاتينية والفرنسية والإنجليزية) إنجيله الخاص (إنجيل جيفرسون) وكان بعنوان «حياة وأخلاق المسيح». وقد نبذ الكم الأكبر من الإنجيل، وتخير جزءًا صغيرًا من الأناجيل الأربعة وهو الذى شعر أنه صحيح ونافع.

وحتى يتضح أكثر المجال الفكرى الذى عاش فيه جيفرسون، نذكر فى الهامش أسفل الصفحة من نفس الكتاب ما جاء عن معاصريه بنيامين فرانكلين، وچون آدامز<sup>(٧٢)</sup>.

(٧٢) بنيامين فرانكلين (١٧٠٦ - ١٧٩٠)

أفضل وصف لبنيامين فرانكلين السياسى والكاتب والمخترع فى إطار هذه الدراسة أنه ربوبى مسيحي، يشر أن الدين وأن كل الأديان عمومًا والمسيحية بصفة خاصة، تحقق نفعًا للمجتمع. ومعتقداته الأساسية موجودة فى سيرته الذاتية وفى رسالة كتبها فى ٩ مارس ١٧٩٠ قبيل وفاته إلى عزرا إستابلز رئيس جامعة يال. أعرب فرانكلين = فى رسالته هذه عما يعتبره المبادئ الأساسية للدين القويم قائلاً: «أنا أؤمن بإله واحد خالق الكون الذى يتولاه بعنايته الإلهية، وهو وحده المستحق للعبادة، وأن أفضل ما تقدمه له هو تقديم الخير لعباده الآخرين. كما أؤمن أن روح الإنسان خالدة وسوف تعامل بعدل فى الحياة الأخرى حسب سلوكها فى الحياة الدنيا».

وعبر فرانكلين فى هذا الخطاب عن إيمانه بأن نظام الأخلاقيات والدين الذى تركه المسيح هو الأفضل فى العالم، إلا أن البعض تسبوا فى إفساده. وتشكك فرانكلين فى ألوهية المسيح. ووفقًا لوجهة نظره، الدين يساعد فى دعم المجتمع الأخلاقى.

جون آدامز (١٧٣٥ - ١٨٢٦)

مثل جيفرسون، يمكن وصف جون آدامز ثانى رؤساء الولايات المتحدة كربوبى مسيحي، آمن بتعاليم المسيح الأخلاقية ولم يؤمن بالوهيته. وفى ماساتشوستس كان آدامز أحد الليبراليين الدينيين ممن انفصلوا عن الأبرشيين التقليديين ليصبحوا موحدين.

كان آدامز ناقدًا لاذعًا لما رآه بمثابة انحراف المسيحية من خلال الدين المؤسساتى وبسبب النزاعات اللاهوتية المستديمة. وفى رسالة موجهة إلى ف.أ. ديركمب بتاريخ ٢٧ ديسمبر ١٨١٦، أشار آدامز إلى أن هذا الانحراف جعل من الديانتين اليهودية والمسيحية أكثر الديانات دموية على الإطلاق، وأضاف أن العديد من الإنجازات الثقافية قد أسىء استخدامها لخدمة أغراض ممقوتة من الدجل والخرافات.

وآمن آدامز بحرية الدين، وعمل من أجلها. فلم يؤمن بأحقية أى جماعة فى فرض مذهبها الدينية على الآخرين، ويجب أن يترك العقل البشرى حراً من المعتقدات الجازمة.

ربما نكون الآن على علم أفضل بالسياق الذى ظهر فيه المفهوم والمصطلح (فصل الكنيسة عن الدولة)<sup>(٧٣)</sup>، أى عدم تمييز الدولة لكنيسة أو طائفة پروتستانتية على الكنائس أو الطوائف البروتستانتية الأخرى، وهو مماثل لدعوة جون لوك لتسامح الكنائس البروتستانتية مع بعضها البعض، دون أن يمتد ذلك التسامح للكاثوليك، ولا لليهود ولا للمسلمين.

### ٣- تنحية الدين عن السياسة والحياة العامة هو سبب تقدم الغرب

هذا أحد كليشيات البروباغندا التى قصفتنا بها بعض دوائر الغرب المحبة للإسلام.

دائما أبداً يفتتن الناس بالثرى القوى، على مستوى الأفراد والجماعات والدول، وخاصة إذا استطاع هذا الوجيه - الثرى القوى ذو النفوذ - أن يظهر بمظهر المحسن الكريم، وهنا يقوم الإعلام ومزيفو التاريخ بدورٍ جوهري.

ولا أستطيع هنا مقاومة ذكر إحساسى بحسن نية منى الشاذلى اللانهائى، حينما استضافت منذ بضعة أشهر السفير البريطانى فى مصر، والذى بدأ يتكلم وكأنه الحكيم والمحسن المثالى، الذى

---

(٧٣) ومع كل ما سبق ذكره، قال كبير قضاة المحكمة العليا فى الولايات المتحدة ويليام رنكويست فى ١٩٨٥: «الحائط الفاصل بين الكنيسة والدولة» استعارة مبنية على تاريخ سيع، وأثبتت فشلها كمرشد فى القضاء، فيجب التخلّى عنها بصراحة وبشكل واضح - أصول التطرف: اليمين المسيحى فى أمريكا - صفحة ٢٥٣.

يتفضل علينا بالنصح والإرشاد، ويسبغ علينا كرمه وفضله في كيف نحل المشكلة الفلسطينية... ذلك الوجه الأمل - كما أراد أن يظهر - هو ممثل المجرم الرئيسي والمتهم الأول في ارتكاب مآسٍ أصابت الشرق الأوسط في القرون القليلة الماضية، ومنها مأساة فلسطين<sup>(٧٤)</sup>، كذلك جسدت حكومات الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وإسبانيا وإيطاليا وألمانيا وروسيا الإجرام الدولي في إطلاق «استباحة الآخر» طوال تلك القرون القليلة الماضية، فاستنزفوا ثروات الشعوب، واستحلوا جهودها ودماءها، وأرواحها، فأبادوها إذا لزم الأمر، كما حدث في أمريكا وأفريقيا وآسيا<sup>(٧٥)</sup>.

(٧٤) نذكر القارئ باحتلال بريطانيا لمصر منذ ثمانينات القرن التاسع عشر حتى خمسينات القرن العشرين، ثم ارتكابها مع فرنسا وإسرائيل العدوان الثلاثي الغادر على مصر في ١٩٥٦، ثم مؤامرتها لتحويل ماء النيل عن مصر، وعدم ارتكابها تلك الجريمة يعود لسبب وحيد - كما ذكرت الوثيقة التي نشرت جريدة الأهرام جزءاً منها في ٢/١٢/٢٠٠٦ - هو خوفها من الفشل، الأمر الذي كان سيؤدي لارتفاع شعبية عبد الناصر. ونذكر القارئ أيضاً بأن بريطانيا العظمى اعتقلت أحد أبطال المقاومة في بورسعيد وخطفته = إلى قبرص، وهددته بأن تفتق عينيه إذا لم يقل ما تريد في الإذاعة، فرفض محمد مهران، فأوفت بريطانيا العظمى بوعدها وفتت عيني البطل المصري، وهو ما زال حياً يرزق في بورسعيد مدينة الأبطال.

وما زالت الأنعام التي زرعتها بريطانيا وألمانيا في الحرب العالمية الثانية تعوق التنمية في شمال الصحراء الغربية، وتصيب وتقتل المواطنين المصريين، ثم يتحدث الوجه الأمل عن مساعدات بريطانيا لمصر وللفلسطين.

(٧٥) يكفي من الأمثلة هنا ما فعلته بريطانيا في مصر والهند والصين، وما فعلته فرنسا في الجزائر. وتم ذلك التوسع الاستعماري تحت مزاغم وشعارات متعددة منها: حماية الأقليات - ضبط الميزانية - الحماية - حمل الرجل الأبيض - «السيهات الثلاثة» - ٤٣ Cees: «نشر المسيحية - نشر الثقافة والحضارة المسيحية - التجارة - Chrityianity - Culture - Commerce»

وهذا هو أحد الأسباب الرئيسية في هيمنة تلك القوى على العالم، والسبب الرئيسي الثاني - بعد استحلال الآخر - هو تفوقها في تكنولوجيا السلاح والحرب<sup>(٧٦)</sup>.

أما قضية تقدم الغرب، ففيها نظر. الغرب أكثر قوة وأكثر ثراءً، وأكبر اقتصاداً، وأعلى صوتاً وإعلاماً... ولكن ليست هذه هي المعايير الوحيدة للتقدم... لكنها بكل تأكيد معايير الهيمنة والتسلط.

فعلى سبيل المثال، الولايات المتحدة: يعيش حوالى خمس سكانها تحت خط الفقر، وحوالى نصف السكان بدون تأمين للعلاج، الذى يكلف مبالغ فوق طاقة الأمريكى من الطبقة المتوسطة، وتستهلك

(٧٦) لمن يريد الاستزادة، أرشح الكتب الآتية للقراءة:

- \* الجذور الشرقية في الحضارة الغربية. جون إم. هوبسون، من إصدارات مكتبة الشروق الدولية.
- \* الشركة التى غيرت العالم. نك روبينز، من إصدارات مكتبة الشروق الدولية.
- \* ركل السلم بعيداً. د. ها - جون تشانج، من إصدارات مكتبة الشروق الدولية.
- \* الكتاب المقدس والاستعمار. القس مايكل پريور، من إصدارات مكتبة الشروق الدولية.
- \* ٥٠٠ عام وما زال الغزو مستمراً - ناعوم تشومسكى، دار المدى.
- \* The Military Revolution 1500 - 1800, Parker - Cambridge, 1988 - 1989 - 1996 - 2005.
- \* The Pirate Queen, Susan Ronald - Harper Perennial, Harper Collins -2007.
- \* Capitalism & Slavery, Eric Williams - The University of North Carolina Press, 1941, 1994.
- \* The Blood Never Dried, Newsinger - Book Marks Publications, 2006.
- \* The Tools of Empire: Technology and European Imperialism in the Nineteenth Century, Daniel R. Headrick - Oxford University Press, 1981.

نصف مخدرات العالم، وبها أعلى نسبة جريمة، وأعلى نسبة مساجين لعدد السكان في العالم، وتعاني أكبر فجوة في الدخل بين الدول الصناعية، فقد جنت شريحة الـ ١٪ الأغنى ربع الدخل في عام ٢٠١٠، وكدست ٤٠٪ من الثروة!، وفوق كل ذلك يحمل مواطنها أعلى مديونية في العالم، وهي «على شفا انهيار اقتصادى وانهيار مالى لولا قوتها العسكرية، ولولا أن العالم يستخدم الدولار كعملته الدولية»، والفقرة الأخيرة هي من تصريح حديث لجيمس بيكر وزير خارجيتها الأسبق الذى نشرته جريدة الأهرام فى ٣٠ / ٤ / ٢٠١١.

وليس هناك من أسأل دماء، وارتكب قمعًا وظلمًا فى العالم مثل إنجلترا وفرنسا وألمانيا وروسيا والولايات المتحدة، وتحاول إسرائيل اللحاق بهم، لولا عمرها القصير، فهل هذه هى معايير التقدم؟.

بعد كل ذلك، من قال إن الولايات المتحدة وإسرائيل، أو حتى إنجلترا أخرجت الدين من سياستها وحياتها؟. كما ذكرنا سابقًا، منذ حوالى قرن يردد المفكرون والكتاب فى الولايات المتحدة مقولة: حضارتنا وثقافتنا قائمة على أسس يهودية مسيحية، بقدر ما تردد بعض وسائل الإعلام وبعض السياسيين والمفكرين فى مصر اليوم القول بأنه لا دين فى السياسة ولا سياسة فى الدين، أو المطالبة بالدولة المدنية<sup>(٧٧)</sup>.

---

(٧٧) لا يوجد فى مصطلحات علم السياسة الغربى مثل هذا المصطلح، وقصد مردييه فى مصر هو فصل الإسلام عن الحياة وعن الدولة، رغم أنه فى عالم الغرب، وخاصة الولايات المتحدة، حيث يستقون ويستلهمون الأفكار، يتردد بكثرة مصطلح الدين المدنى للولايات المتحدة، والمؤسسة الدينية المدنية.

لقد اعتبر البيوريتانز، وبصفة عامة الواسپ، المهاجرون إلى أمريكا أنهم شعب الله المختار يخرجون إلى إسرائيل الجديدة، فأمريكا هي الأرض الموعودة، وقال جون أو سوليفان: قُدر لنا [أمريكا] أن نبين للجنس البشري عظمة المبادئ السماوية، وأن نؤسس على الأرض أنبل معبد لتسييح وعبادة الأعلى والأقدس - أعتقد أننا سنكون خونة لرسالتنا النبيلة إذا رفضنا الأهداف العليا للعناية الإلهية [يقصد التوسع] - أليست لنا رسالة لتؤديها؟ وهل منحنا الأب القدير هبات وميزنا باعتبارنا شعبه المختار لنبلى وتنعفن في أنانيتنا؟<sup>(٧٨)</sup> [يقصد إذا رفض الأمريكيون الدعوة للتوسع].

شاعت بين الأمريكيين - قديمًا وحديثًا - أن أمريكا مكلفة بمهمة إلهية، برسالة للبشرية، وأنها آخر أفضل أمل للعالم<sup>(٧٩)</sup>.

ويمكن لكل قارئ أن يتذكر سياسة أوروبا الغربية والولايات المتحدة في الشرق الأوسط، وكيفية اجتماعهم على تأييد إسرائيل، رغم كل جرائمها وانتهاكاتهما لقرارات الأمم المتحدة وحقوق الإنسان<sup>(٨٠)</sup>.

(٧٨) أرض الميعاد والدولة الصليبية، مكدوجال، دار الشروق صفحة ١٢٠، ١٤٢، ١٥١.  
(٧٩) في مقالة في المجلة الأمريكية المشهورة «Foreign Affairs» في عدد يناير ٢٠٠٧، قال والتر راسيل ميد: للدين أثر قوى على السياسة والسياسيين وعلى الهوية والثقافة الأمريكية، ويعمل الدين على تحديد شخصية الدولة، ويساهم في تكوين أفكار أمريكا عن العالم، ويفسر إحساس الأمريكيين بأنفسهم كشعب مختار - ترجم حمدى عباس المقالة، ونشرتها مكتبة الشروق الدولية بعنوان: بلد الله: الدين في السياسة الخارجية الأمريكية. ويمكن الاستزادة في معرفة كيف يعتبر الأنجلوساكسون أنفسهم شعب الله المختار بقراءة الكتب الآتية: أرض الميعاد والدولة الصليبية، مكدوجال من منشورات دار الشروق، المسيح اليهودى ونهاية العالم، رضا هلال، الشروق الدولية، الشعب المختار: الأسطورة التي شكلت إنجلترا وأمريكا، كليفورد لونجلى، الشروق الدولية.

(٨٠) قبيل صدور هذا الكتاب، جاء في أهرام ٣ سبتمبر ٢٠١١ مبشرات تقرير الأمم المتحدة عن الهجوم الإرهابى للقوات الإسرائيلية على السفينة التركية التى تنقل طعام =

بعد كل ما سبق نذكر القارئ بأن موجة تهमيش الدين من الحياة العامة في أوروبا - بسبب ممارسات الكنيسة وغموض عقيدتها في التثليث، وتجسيد الله وصلبه، وأكل المصلين جسد المسيح وشربهم دمه، وغير ذلك - لم تبدأ إلا في منتصف القرن العشرين، وبعد الحربين العالميتين - وهما في الأصل حربين أوروبيتين أو مسيحيتين، جرجرت أوروبا بقية العالم فيهما - حين فقدت أوروبا القناعة بقيمها، وكانت أوروبا الغربية قد بسطت هيمنتها على معظم العالم قبل ذلك بحوالى قرن.

ونذكر القارئ بأنه بعدما نشبت ثورات أوروبا (فرنسا، والنمسا، وما أصبح ألمانيا وما أصبح إيطاليا، وغيرها) في مطلع عام ١٨٤٨ ضد التحالف القديم بين الكنيسة والملوك، استطاعت القوى المحافظة استعادة هيمنتها في خريف العام نفسه، واستمرت الأنظمة القديمة حتى نهاية القرن التاسع عشر. وفي فرنسا التي كانت تُسمى بنت الكنيسة حتى قيام ثورتها في عام ١٧٨٩، جاء الإمبراطور نابليون الثالث في عام ١٨٥٢ ليعلن: نريد أن نحول الشعب إلى ميدان الفضيلة والدين والرخاء - تاريخ القرن التاسع عشر، قاسم وحسنى، صفحة ١٥٣، الطبعة السابعة ١٩٣١، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة<sup>(٨١)</sup>.

---

=وأدوية لغزة المحتلة والمحاصرة: إن القوات الإسرائيلية التي اعتلت [هاجت!] السفينة واجهت مقاومة ثم تطلب الأمر استخدام القوة من أجل حماية نفسها!.

(٨١) بل إنه بعد الثورة الفرنسية بخمسة عشر عامًا، في عام ١٨٠٤ توج البابا نابليون على مثال تنويج البابا شارلمان على الإمبراطورية الرومانية المقدسة قبل ذلك بعشرة قرون، ولم يمنع ذلك نشوب صراع لاحق على أراضي إيطاليا بين نابليون والبابا في ١٨٠٨، فحرم البابا نابليون، فما كان منه إلا أن قبض عليه بالقوة العسكرية وسجنه؛ مما أفقد نابليون تعاطف الكاثوليك في أوروبا.

أما الولايات المتحدة، فيراها الدارسون، ومنهم ريتشارد هاس  
مستول التخطيط بالخارجية الأمريكية: أكثر دول العالم تديناً<sup>(٨٢)</sup>.

#### ٤- كيف نحافظ على حقوق المسيحيين؟

طبقاً للتصريحات الأمريكية والأوروبية المعلنة، صار هناك ملف  
للمسيحيين والتميز الدينى فى مصر لدى تلك الحكومات التى لم  
تتوقف شعوبها عن ممارسة التمييز الدينى والعنصرى - بامتياز - منذ  
نشأتها وحتى اليوم.

كذلك دعا بابا الفاتيكان لحماية المسيحيين فى مصر، ونذكر القارئ  
بأن الحروب الصليبية فى القرن الحادى عشر قد بدأت بدعوة بابا  
الفاتيكان لحماية الحجاج المسيحيين من الأتراك فى بيت المقدس.

وطبقاً للتصريحات الإسرائيلية، والدراسات والكتب الإسرائيلية،  
والمنشورة باللغة العبرية والإنجليزية، يجب تفتيت وتقسيم العالم  
العربى حتى تحكم إسرائيل من جبل صهيون.

ستعمل تلك القوى على «تسمين»، و«تسخين» ذلك الملف بكل  
الوسائل والأساليب.

وقد رأينا ونرى تقسيم السودان<sup>(٨٣)</sup>، وقبل ذلك ما حل بالعراق،  
ومحاولة إنشاء دولة كردية.

---

(٨٢) قال ذلك على شاشة التلفزيون الحكومى المصرى بتاريخ ٢/٣/٢٠٠٣ مع الدكتور  
عبد المنعم سعيد.

(٨٣) من يرغب الاطلاع على دور إسرائيل فى جنوب السودان، وفى أفريقيا، يمكنه الاطلاع  
على: إسرائيل فى أفريقيا - حسين همودة، إسرائيل فى النيل - د. زبيدة عطا، والكتابان من  
منشورات مكتبة الشروق الدولية.

نعود إلى مصر.

تبين إحصاءات السكان التي تمت في القرن الماضي تحت سيطرة الاحتلال البريطاني أن نسبة المسيحيين في مصر تراوحت بين ٦-٨٪، ويعرف معظمنا أن الشعب المصري متدين، سواء كان مسلمًا أو مسيحيًا، وأن الدين له قدسية خاصة عند المصريين.

فالمسلمون يريدون اتباع دينهم، والمسيحيون يريدون اتباع دينهم، وبدون ذلك، يتحول المصري إلى كومة عظام ودم ولحم وأعصاب مُستهلَكة، لا تصنع حاضرًا ولا مستقبلًا، ولا تبنى حضارة. فما العمل؟.

هل يتخلى المسلمون عن دينهم لصالح المسيحيين؟.

هل يتخلى المسيحيون عن دينهم لصالح المسلمين؟.

هل يتخلى المسلمون والمسيحيون عن دينهم؟.

ليس هناك حل إلا أن يتمسك المسلمون بدينهم، ويتمسك المسيحيون بدينهم، ويرفض الاثنان دعاوى الفتنة، سواء كانت وافدة من إسرائيل أو أمريكا أو أوروبا أو القاتيكان، أو أشعلتها بعض القوى التي لا تكثر بمصر ولا بالمصريين- تاريخًا وحاضرًا ومستقبلًا- ولكن تقاتل في سبيل مكاسبها المحدودة والقصيرة، ولو على جثة مصر.

ومعلوم أنه في الإسلام والمسيحية: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وبأن الكنيسة رفضت تدخل الدولة مرارًا وتكرارًا في شئونها،

وأن البابا قال مرارًا وتكرارًا في قضية الطلاق والزواج الثاني للمسيحيين: ارجعوا للقرآن، وقال لن يجبرنا أحد على مخالفة الإنجيل<sup>(٨٤)</sup>.

وقد بينت آيات سورة المائدة أن القرآن يأمر بأن يحكم أهل الإنجيل بما جاء فيه.

سيعترض البعض بأنه قد تظهر بعض الخلافات من جراء ذلك، ولكن تاريخ مصر، والذي هو أفضل تاريخ لشعب على وجه الأرض في احتضان الأديان وعيشها في سلام وأمان - برغم تضليل وتزوير الإعلام العالمي والمحلي - يرد على ذلك، والخلافات تنشب بين أبناء الدين الواحد، وبين أعضاء المذهب أو الطائفة الواحدة في الدين الواحد، بل وبين الأحزاب، وداخلها، والعبرة في احتواء الخلافات، وتحويلها إلى ثراء فكري وحضاري بدلًا من إشعال الفتن من ورائها.

ونذكر القارئ أنه في جلسة مجلس الشعب بتاريخ ١٩ يولييه ١٩٧٩، وافق جميع أعضاء مجلس الشعب - بما في ذلك كل أعضائه المسيحيين - على تعديل المادة الثانية من الدستور لتصبح: الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسي للتشريع، واشترك عدد من الأساتذة والخبراء المسيحيين في برنامج تقنين الشريعة.

بل إن البابا شنودة صرح لجريدة الأهرام في ٦ مارس ١٩٨٥ قائلاً:

(٨٤) الالفت للنظر أن كثيرًا من القسس الذين اصطفوا وراء البابا في رفضه تدخل الدولة في أمر الزواج الثاني، وما إلى ذلك من شئون المسيحيين، ويرددون وراءه أن طاعة الإنجيل مقدمة على كل شيء، يطالبون بإلغاء المادة الثانية من الدستور، انظر على سبيل المثال ما قاله الأنبا بستى لجريدة الدستور في ٢٣ فبراير ٢٠١١ على صفحة ٧.

إن الأقباط في ظل حكم الشريعة الإسلامية يكونون أسعد حالاً وأكثر أمناً، ولقد كانوا كذلك في الماضي حين كان حكم الشريعة هو السائد.

## ٥- الخوف من الدولة الدينية (الثيوقراطية)

الدولة الدينية التي يخاف بعض الناس منها هي الدولة التي يقول فيها الحاكم إنه يحكم بالحق الإلهي للملوك في الحكم، أو يقول فيها البابا إنه معصوم من الخطأ، فلا يحق لأحد أن يراجعه فيما يقول ويفعل، ولا ينصت لصوت الشعب، فهو ممثل الله على الأرض، وعلى الجميع أن يطيعونه.

جسد تحالف الكنيسة الكاثوليكية مع الملوك والأباطرة ذلك الحكم في العصور الوسطى، وتمسك الملوك والأباطرة بفكرة حقهم الإلهي في الحكم، حتى بداية العصر الحديث، بل استمر ذلك في ألمانيا وفرنسا وغيرهما لما بعد منتصف القرن التاسع عشر، كذلك مارس الباباوات ذلك الحكم الإلهي على العالم كلما سمحت ظروف القوى بذلك، وقام ذلك المفهوم على نصوص كتابية<sup>(٨٥)</sup>، وعلى تقاليد كنسية عاشت لأكثر من عشرة قرون.

(٨٥) منها على سبيل المثال: رسالة بولس إلى روما: الخضوع للسلطات: على كل نفس أن تخضع للسلطات الحاكمة، فلا سلطة إلا من عند الله، والسلطات القائمة مرتبة من قبل الله، من يقاوم السلطة يقاوم ترتيب الله - ١: ١٣ - ٢، وفي رسالة بطرس الأولى: ... فإكراماً للرب، اخضعوا لكل نظام يدير شئون الناس: للملك باعتباره صاحب السلطة العليا، وللحاكم باعتباره ممثل الملك... خافوا الله، أكرموا الملك - ٢: ١٣-١٧، ومنها على الجانب الآخر لتبرير حكم البابا، قول البابا جريجوري السابع: من يستطيع فتح السماء وغلقها، ألا يستطيع الحكم بأمور الأرض؟ - الفكر السياسي، د. حورية مجاهد، الأنجلو، صفحة ١٣٣. ونشرت جريدة الشروق في ٦ أكتوبر ٢٠١٠ في صفحتها الثالثة على لسان القس مكاري يونان: ... قالوا له إن البابا شخص غير عادي لا يمكن أن يكون من عالمنا، فهو لا يصلح فقط لقيادة الأقباط بل لقيادة العالم، بينما جاء العنوان الرئيسي: القس مكاري يونان يعتبر الهجوم على البابا هجوماً على المسيح نفسه.

ليس لشريعة الإسلام علاقة بأى مما سبق، بل إنها تنقض كل ما سبق!. فعلى سبيل المثال جاء فى القرآن: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوِيَّةٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٦٤].

فقد وضع القرآن، وأكد وكرر، وكذلك السنة، على بشرية الرسول، وقد قال الرسول إنه يأتيه الخصوم، كل بحجته، فإذا كان أحدهم أفصح بحيث يجعله يقضى له بغير حق، فإنما هو يأكل نارًا عندما يأخذ حق خصمه.

وقال لمن أصابته الهيبة من محادثة نبي الرحمة: هوّن عليك! إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد!.

فلا يستطيع أحد من المسلمين أن يدعى العصمة أو المعرفة الكلية أو الحق المطلق.

ولم يذكر القرآن، ولا السنة بالطبع، أن من صلاحيات الرسول أن يدخل أحدًا الجنة، أو يلقى بآخر فى النار، ولا أن يغفر الذنوب لأحد، بل يُطلب الغفران من الله وحده، الذى لا يغفر الذنوب سواه. وأيضًا لم يذكر القرآن ولا السنة، أن الرسول يُحلل ويُحرّم من نفسه، بل جاء فى سورة الحاقة ﴿وَلَوْ نَفَوْا عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطْنَا مِنْهُ الْآوِينَ ﴿٤٦﴾﴾.

لم يسلم الرسول لأحد مفاتيح الملكوت؛ لأنه هو نفسه لم يمتلكها ولم يزعم امتلاكها، فقد جاء فى سورة الأحقاف ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَايِنِ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرَى مَا يَفْعَلُ بِى وَلَا يَكْرَهُنَّ أَنْبِيؤُهُمْ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾﴾.

كذلك جاء ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾  
[القصص: ٥٦]، وجاء ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ [آل عمران: ١٢٨]

وليس فى الإسلام ما يجعل أحدًا من المسلمين - أيا كان علمه أو نفوذه - يزعم بأنه يحتكر الكلام باسم الله أو الإسلام أو الشرع، فجاء فى القرآن ﴿ وَفَوَقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عِلْمٌ ﴾ [يوسف: ٧٦]، وجاء ﴿ وَمَا أُرْسِلُ مِنْ آلِ عِيسَى إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥].

وجاء فى صحيح مسلم: «... وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله، فلا تنزلهم على حكم الله ولكن أنزلهم على حكمك، فإنك لا تدرى أتصيب حكم الله فيهم أم لا» - كتاب الجهاد والسير.

وقد قال الرسول حديثًا يجعل لكل عالم مسلم الحق فى أن يعترض على أى فتوى لشيخ الأزهر أو المفتى - أو حتى الاثنين معًا - قال الرسول: «... أسأل قلبك وإن أفتاك الناس»، ولهذا قال مالك: كل إنسان يؤخذ من كلامه ويُرد، إلا صاحب هذا المقام - وأشار إلى المسجد النبوى وحجرة الرسول به.

لذلك انتشرت فى الثقافة الإسلامية مقولة مالك: من قال لا أعلم فقد أفتى. ورفض مالك مرتين أو ثلاثًا أن يطبق الخليفة فقهاء فى كل ربوع الدولة الإسلامية، وقال لكل بلد ظروفه وفقهاؤه.

ليس فى الإسلام ولا تراث المسلمين هيراركية دينية ولا كهنوت تقوم عليها دولة ثيوقراطية، بل هناك الشورى التى تمنع الاستبداد فى

كل أوجه الحياة، إذا عُمِلَ بها، وقد قالت عائشة والصحابة عن الرسول:  
لم يكن هناك من يستشير الناس أكثر منه.

## ٦- التخفيف من تطبيق حدود الشريعة

أكثر ما يخاف منه بعض المسلمين هو قطع أيادي السارقين.

يرد من يطالب بتطبيق الشريعة على ذلك قائلاً:

إن الشريعة نظام متكامل لحياة المسلم، وحدودها - بالمعنى الحرفي والحقيقي - هي الإطار الخارجى لها، والذي يقوم - بالتدرج - مع - إن لم يكن بعد - قيام الجوهري، أى المجتمع الذى يؤمن بالعقيدة ويستوعبها فيتبع التكليف، ويأتمر بالأوامر، ويتهى بالنواهي، ثم يتدرج المجتمع فى تطبيق الحدود<sup>(٨٦)</sup>. وإذا ناقشنا موضوع السرقة، فيجب مناقشة موضوع المال بأسره فى الشريعة:

المال هو مال الله، واستخلف الناس عليه ليرى ماذا هم فاعلون، فهو يسط الرزق لمن يشاء، ويقدر، أى يضيق، عمن يشاء.

تحمى الشريعة أموال الناس، أى الملكية الخاصة، ولكن فى نفس الوقت تفرض على الأغنياء دفع زكاة أموالهم، وتحث على دفع ما هو أزيد

---

(٨٦) لم يكن ذلك منهج الإسلام فى عصر التنزيل فقط - كما جاء فى التدرج فى تحريم الخمر، والتدرج فى تكليف المسلمين الجدد بالصلاة ثم الزكاة كما بينت أوامر النبي لمبعوثه الذى أرسله لليمن - بل إن الخليفة عمر بن عبد العزيز تتدرج فى أواسط عصر الدولة الأموية فى إحياء السنة وإماتة البدع السيئة، وعندما ألح ابنه فى التطبيق الفورى وإن أدى ذلك إلى قتله، أجابه: يا بنى إن بادأت الناس بما تقول أحوجونى إلى السيف، ولا خير فى خير لا يحيا إلا بالسيف - الكامل فى التاريخ لابن الأثير، الجزء الرابع ص ٣٣٠، ٣٣١ طبعة دار الكتب العلمية - ١٤٠٧هـ.

من الزكاة، وجعلت كثيرًا من الكفارات بدفع المال. وتحت على كسب المال الحلال، وعلى العمل الجاد لتحقيق مطالب العائلة وترك الورثة أغنياء بدلًا من أن يسألوا الناس. وتنهى عن الربا، وتحت المسلمين على القرض الحسن، وإمهال المُعسر، وإن أمكن التجاوز عن دينه.

وبالطبع تنهى عن الغش والخداع في كل أنواع البيع والشراء، وتحت على إبرام العقود التي تكفل شفافية البيع والشراء، والتي تمنع الخلافات المستقبلية بين البائع والمشتري - أو الصانع والأمر بالصناعة، أو الأمر بالبناء أو ما إلى ذلك - بأن يتناول العقد التفاصيل بما يسد الذرائع أمام الاختلاف، ويحفظ حقوق المتعاقدين.

وتنظم الشريعة التشارك في الزراعة والتجارة وغير ذلك حتى لا يظلم طرف الآخر.

وأمر الحديث النبوي بدفع أجر العامل قبل أن يجف عرقه.

وألزمت الزوج بالإنفاق على زوجته حتى لو كانت ثرية ولا يحق له من مالها شيء إلا برضاها، تطوعًا.

ووضعت نظامًا للموارث يوزع التركة حسب مسئوليات الوارثين حتى يتمكن كل منهم من القيام بها.

ونهى نبي الرحمة أن ييات أحد شعبان وجاره جائع، وأعلن أن الدولة مسئولة عن سداد ديون الميت الفقير<sup>(٨٧)</sup>، وهذا بالطبع يؤكد مسئولية

---

(٨٧) أفنى ابن حزم بأنه إذا مات أحد من الجوع، لزم أهل قريته أن يدفعوا دينه.

الدولة عن ديون الفقير الحى، ومن ثم مسئوليتها عن تأمين العيش الكريم للفقراء، ومحاربة الفقر، وقال الإمام على: لو كان الفقر رجلاً لقتلته! وهذا أيضاً يفتح الباب على مصراعيه لتأكيد مسئولية الدولة عن تعليم وتأهيل أفرادها للعمل الذى هو المصدر الرئيسى للكسب ومحاربة الفقر، ومسئوليتها الرئيسية أن يعيشوا حياة تكفل لهم فيها الضروريات الأساسية لكرامة الإنسان، والتي تتغير طبقاً للزمان والمكان، وهى فى ذلك تقوم بدورها المحورى والأساسى فى تحقيق الآية الكريمة ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

ولقد بين رسول الرحمة أن الناس شركاء فى الضروريات التى كانت فى وقته: الماء، والكلاء، والنار.

فهم الآن شركاء فى ضروريات العصر، بما قد يضم البترول، والمعادن وغير ذلك حسبما يرى العلماء.

ولعنت الشريعة الاحتكار فى التجارة، وهذا بالطبع يعنى منع احتكار المعلومات، ومنع احتكار المال، أو احتكار الحكم فى عائلة أو حزب.

ومن حكم الإمام على: ما مُتّع غنى إلا بما حُرّم منه الفقير.

وأمرت بالشورى.

وعرفنا كيف حدد الصحابة مرتب أول خليفة لرسول الله: مرتب مثل أواسط المسلمين، حدده عمر ومن معه لأبى بكر.

وعرفها كذلك كيف يسأل المواصون رئيسهم عن ثوبه من أين أتى به؟ وكيف ترد امرأة فرار الرئيس عنى مسمع ومرأى استعجبه عن فوزياً لقولها.

وعرفنا قول عمر: لو عثرت بعنة في العراق نسلت عنها يا عمر<sup>(٨٨)</sup>.  
في مثل هذا المجمع، ألا يستحق السارق أقسى عقاب؟  
وهناك بعض الأمثلة التي كافت فيها شريعة الرحمة لمندسب الفقهاء،  
أو حتى السارق الفقير، نذكر منها:

واقع رجل زوجته في نهار رمضان، ثم جاء للنبي يخبره به فعنه وكيف يكفر عنه، فسأله النبي الذي ألدك ما تصدق به؟ فأجابه بالنفي. سأله النبي أن يمكت معقبلاً حتى نجينه صدقة. فلما جاء أحد المسلمين بصدقة، فلما النبي للرجل خذها وتصدق بها على أحد الفقراء، فأجابه: الرجل: والله يا رسول الله ليس هنا من هو أفقر مني! فتسبم النبي وقال له: خذها أنت وأهلك.

وأيام عمر: سرق البعض ناقة من يعملون لديها، فذهب إلى عمر يشكوهم، فأحضرهم عمر، فلما علم منهم بجنس الرجل عليهم سوء حالهم فإذا به يعاقب صاحب العمن الظالم ويرى الفقراء المظلومين من السرقة.

وإذا كانت جريمة القتل هي من أشنع جرائم الإنسانية، ولا يعاني أحد أكثر من أن يقتل أبوه أو أخوه أو ابنه، فمع هذا شرع الإسلام

---

(٨٨) مات حوالي ١٠٠٠ مصرية غرقاً، ولم تحرك الدولة لإنقاذهم إلا بعد أكثر من عشرين ساعات، بينما كان الرئيس السابق يستجم!

العفو لأصحاب الدم إذا أرادوا، فلهم خيارات ثلاثة، مطالبة الحكومة بالقصاص، أو بطلب الدية من القاتل، أو العفو عن القاتل. فمن هنا يمكن للبعض أن يُجادل بأنه يمكن تطبيق نفس المبدأ على السرقة، فليست السرقة بأفزع من القتل، وليس العفو عن السرقة بأكبر من العفو عن القتل.

وتظهر آفاق رحمة الشريعة فيما يعرف بآية المحاربة في سورة المائدة ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْرَأَ عَلَيْهِمُ الْقَوْلَ فَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ [٣٤، ٣٥].

نقلت تفاسير القرطبي وابن كثير والرازي والألوسي وسيد قطب أن من:

• يحارب الله ورسوله.

• ويسعى في الأرض فسادًا بسرقة وقتل وما إلى ذلك.

ثم يجيء تائبًا للإمام، يحصل على العفو العام!

وذكرت التفاسير المذكورة ثلاث وقائع منفردة جاء في كل منها واحد من أولئك المجرمين العتاة المحاربين لله ورسوله، والمفسدين في الأرض إلى: علي بن أبي طالب، وإلى أبي موسى الأشعري، وإلى أبي هريرة، فحصل كل منهم على العفو العام عن جرائمه.

فالله يغفر الذنوب جميعًا إلا أن يُشرك به.

ومن زاوية أخرى، قد يجادل البعض بآية ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَالْكَافِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا يَلْمُونَهُمْ اللَّهُ بِعِلْمِهِمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠]، فلا أحد يقول بأن علينا الآن إعداد رباط الخيل لردع العدو وقتاله، ولكن علينا إعداد وسائل القوة الفعالة اليوم، فهل يمكن تطبيق عقاب رادع بوسائل اليوم بدلاً من قطع اليد<sup>(٨٩)</sup>؟.

ولكن:

ألا نخشى أن يستغل هذه الرحمة الواسعة بعض الأشقياء الذين لا يريدون توبة ولا صلاحاً؟.

فلنتعبر بجيش البلطجية الذي ربته الحكومة السابقة من أصحاب سوابق السرقات وما إليها حتى أصبحوا جيشاً من المجرمين، على استعداد لقتل الجماهير في مقابل بعض مئات أو حتى عشرات من الجنيهات.

ألم يكن قطع أيادي بعض منهم يردع الآخرين، ويقطع طريق تفاقم شرهم من سرقة إلى قتل، وتفاقم أعدادهم من بضع مئات أو آلاف إلى عشرات أو مئات الآلاف؟.

ألم يتبين لنا أن السجن أصبح لا يردع كثيراً من المجرمين، بل يزيدهم إجراماً؟.

(٨٩) مع العلم بأن السجن أصبح لا يردع عن السرقة، ولا عن عودة السجين لها، وطبقاً لأقوال لواء شرطة السجون خ.م.: يُقدم للمحاكمة سنوياً بتهمة السرقة حوالي ١٥,٠٠٠ متهم، تثبت التهم على حوالي عشرة آلاف، يمضون العقوبة في السجن، فيتبادلون خبرات السرقة، ويخرجون ثم يعودون لها ثانياً وثالثاً، وأنه قبل الثورة، قارب عدد المسجونين بتهمة السرقة حوالي عشرين ألفاً، يكلف كل منهم الدولة أكثر من عشرين ألف جنيه سنوياً، ويخرج كثير منهم من السجون أكثر جرأة واحترافاً للسرقة.

## ٧- اعتراضات أخرى

هناك بعض الاعتراضات الأخرى من قبيل: إننا لا نريد أن ندنس الدين بالسياسة، أو أن مصادر الدين (القرآن والسنة) محدودة وحوادث العالم غير محدودة، فكيف يحكم المحدود غير المحدود؟.

يرد من يدعو للمشروع الحضارى الإسلامى على الاعتراض الأول بأنه ليس هناك ما يلزم بأن تكون السياسة دنسة، بل هى نشاط إنسانى رئيسى ومحورى، يؤثر ويتأثر بكل أوجه النشاط الإنسانى الأخرى، وشرع الله عند المسلمين هو ما جاء لينظم حياتهم كلها، وفى مقدمتها الحياة السياسية<sup>(٩٠)</sup>.

وهل كان عبد الله النديم وعمر مكرم وأحمد عرابى ومصطفى كامل وسعد زغلول والأسقف سرجيوس ومصطفى النحاس ومكرم عبيد وفخرى عبد النور وإبراهيم فرج ومحمد نجيب وممتاز نصار وحلمى مراد أدناسًا؟ وهل البرادعى والعوا وحمدى صباحى وحازم أبو إسماعيل وجمال زهران وجورج إسحاق وعبد الجليل مصطفى وأبو الغار وأحمد بهاء شعبان وسمير مرقص أدناس؟

أما الاعتراض الثانى، فيردون عليه قائلين: خالق الكون أدرى بما حدث وما يحدث وما سيحدث، وهو أدرى بما يُصلح الإنسان حتى يوم الحساب

---

(٩٠) قال بلير فى الكتاب السابق ذكره: السياسة يجب أن تكون نشاطًا أخلاقيًا، نحاول غرس توافق قيم الاشتراكية الديمقراطية وقيم المسيحية فى عقول الشعب - صفحة ٣٩، رأى بلير السياسة وسيلة للأخلاق - صفحة ١٥٨، بينما قال بوش فى زيارته الشهيرة لرئاسة الناتو فى أوروبا: قيمنا واحدة، وأخلاقنا واحدة، فإذا اجتمعنا فلن نستطيع قوة على الأرض أن تواجهنا. وغنى عن القول أنه عندما يتكلم بلير وبوش عن القيم والأخلاق فهما يقصدان الأخلاق المسيحية.

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]، وهو أدرى بكيف يجعل للمسلم - في كل مكان وزمان - هداية لشرعه من نصوص القرآن، ومن سنة خاتم النبيين، بما حباه من عقل ومدارك وفطرة، يجتهد في استخدامها بكل الوسائل والسبل، من قياس لاستنباط لسعى وراء المصالح، ولتحقيق المقاصد الرئيسية للشرع، ويضمن المسلم بأية ﴿لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْمَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وحديث الرسول: «اسمعوا وأطيعوا ما استطعتم»، فيحمل أمانة التكليف بالخلافة على الأرض دائمًا أبدًا، وعينه على الآية السارية إلى يوم يرث الله الأرض وما عليها: ﴿سَرِيهَةً آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمُ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣].

إن هدف الشريعة هو تهذيب النفس الإنسانية وتحريرها من أهواء الطمع والجشع والشح وأثرة الذات، من شهوات الدنيا من مال وجنس وسلطة وشهرة وكبر، وتطهيرها من الحسد والحقد، ويُجمل كل ذلك القاعدة الرئيسية في الأديان الإبراهيمية الثلاثة: حب لأخيك ما تحب لنفسك.

ويردون أيضًا: لن يتوقف حجاج من يريد إخراج الله وشرعه من حياة المسلمين، ولن يجد غضاضة في أن ينادى بإخراج خالق الإنسان، وخالق الحياة كلها، خاصة وعامة، من حياة الإنسان العامة حتى لا يفسدها!!

ولقد جاء في الكتاب المقدس: لا جديد تحت الشمس.

بينما جاء في القرآن ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْتَهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٧٧].

فما زالت بعض القوى الغربية تريد إخراج الإسلام من حياة المسلمين، ليسهل لها تشكيلهم حسب مصالحها المتنوعة.

## آفاق الشريعة في مصر بعد الثورة

وضَّح كثير من العلماء والفقهاء أن الشريعة الإسلامية هي شريعة  
خلافة الله على الأرض:

عبادة الله بإعمار الأرض بقيم الحق والعدل وبأداء الأمانات إلى أهلها،  
وبالإخاء والمساواة بين البشر ﴿فكلهم لآدم من تراب، وأكرمهم عند  
الله أتقاهم، ولا فضل لأحد بسبب لونه أو عرقه أو جنسه - فليس هناك  
شعب مختار وشعوب مستبعدة-﴾، وبالتكافل والمودة والرحمة، ﴿فلن يكون  
مؤمنًا من بات شعبان وجاره جائع، ولا من لا يحب لأخيه ما يحب لنفسه﴾،  
وبالوفاء بالمواثيق والعهود والوعود، ونشر السلام ﴿اقرأوا السلام على من  
تعرفون ومن لا تعرفون﴾، وبالسعى الجاد لاكتساب العلوم والمعارف ﴿هَلْ  
يَسْتَوِي الَّذِينَ يَمُنُّونَ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، بالعمل الجاد ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا﴾ وبالعامل لخير البشر  
﴿أحبكم لله أنفعكم للناس﴾، وبالعامل لخير العائلة ﴿خيركم خيركم لأهله﴾،  
وبالرفق حتى بالحيوان - فقد دخل الجنة رجل سقى كلبًا عطشان، ودخلت  
النار امرأة حبست قطة - وبالإحسان، كما أحسن الله إلينا.

فهل هناك وظيفة للإنسان على الأرض أفضل من هذا؟

جمعت الآيات ١٥١ - ١٥٣ من سورة الأنعام، والآيات ٢٣ - ٣٩  
من سورة الإسراء روح ما جاءت به الوصايا العشر في التوراة، مع زيادة

فى الفروع والتفاصيل، وقال المسيح «ما جئت لأنقض الناموس» فهو على شريعة التوراة إلا بعض التخفيف عنها، وقال حكمته الخالدة: ماذا يربح الإنسان لو كسب العالم وخسر نفسه؟ فجماع الشرائع الإلهية فى القاعدة الذهبية: حب لأخيك ما تحب لنفسك، والقاعدة الضرورية: لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق.

ففى ظل هذه الشريعة، تزدهر الحضارة الإنسانية كما ازدهرت، على سبيل المثال، فى الأندلس، وأبدع المسلمون والمسيحيون واليهود.

وإذا كان ما سبق كلامًا جميلًا، ربما يجتمع عليه كثير من البشر، إلا أنه كلام، يحتاج عملاً شاقًا مستمرًا، بوعى وتخطيط ومثابرة لإنجاز بعضه... وتلك هى قصص جهاد الأنبياء مع مجتمعاتهم، وقصة الصراع بين الحق والباطل، أو بين الخير والشر كما يقول جورج بوش، والمستمرة حتى يوم الدين.

إقامة الحق والعدل يحتاج إلى قوة... والقوة تحتاج إلى علم وعمل ومال وتكنولوجيا، وقبل ذلك وخلال وبعد، تحتاج إلى إيمان وعزيمة.

ولا ينقص المصريون أى من ذلك.

وإذا كانت المسيحية السياسية فى أوروبا القرن العشرين نجحت فى تنمية ألمانيا وإيطاليا وغيرهما، وفى تهذيب اقتصاديات الرأسمالية، وفى إنشاء الاتحاد الأوروبى - كما مر علينا من قبل فى مقتطفاتنا من موسوعة كمبريدج للتاريخ: الفكر السياسى فى القرن العشرين - كذلك

نجح - ولو جزئياً - لاهوت التحرر في أمريكا الجنوبية في تحرير شعوبها من الظلم والاستبداد والفقر والجهل، فلماذا لا ينجح الإسلام السياسي في تحقيق آفاق الشريعة؟.

يقول أصحاب المشروع الإسلامي:

\* تبدأ البداية والخطوة الأولى بالتحرير الفكري، ذلك هو التوحيد الخالص والمعنى الخالص لشهادة لا إله إلا الله: التحرر من خضوع التبعية، الخضوع الثقافي والمالي والاقتصادي والسياسي للبشر.

ما الذي يجعلنا نقبل بفرض قانون ناپليون - الذي هو خليط من القوانين الرومانية، وقانون القبائل الجيرمانية، وقوانين الكنيسة، والقانون الطبيعي الذي نادى به بعض الربوبيين<sup>(٩١)</sup> أو من يضعون الطبيعة مقام الله - بدلاً من الشريعة الإسلامية؟ وما الذي يجعلنا الآن نرضخ للضغوط الغربية - وبخاصة الأمريكية - لإخراج الشرع الإسلامي من حياتنا<sup>(٩٢)</sup>؟ وأن تصبح حياتنا نسخة سائفة زائفة فاشلة من الحياة الأمريكية أو الغربية؟ وما الذي يجعلنا نرضخ لأن يُملَى علينا صندوق النقد والبنك الدوليين سياساتنا المالية والاقتصادية؟ وأن نرضخ لأن تقضى مؤسسات دولية في قضايا تنشأ على أرضنا مع

(٩١) انظر صفحة: ١١١.

(٩٢) طالعتنا جريدة المصري اليوم في ٢٤/٦/٢٠١١ بالعنوان الآتي: «مسيحيو الجزائر يطالبون بتعديل المادة الثانية من الدستور الخاصة بدين الدولة - رئيس الكنيسة البروتستانتية: المسيحيون يشعرون بأنهم مواطنون درجة ثانية»، فهل هناك توارد خواطر؟! الطريف في الأمر أن عدد المسيحيين في الجزائر أقل من ١٪ طبقاً لما جاء في الجريدة، وهناك تقديرات بأقل من ذلك الواحد بالمائة بكثير!، وهم نتاج حركات التبشير المعاصرة.

شركات أو مؤسسات أجنبية جاءت لمصر سعيًا وراء مصالحها، وأن تقوم بيننا مؤسسات تمولها أوروبا وأمريكا لتجعل ما تسميه حقوق الإنسان قانونًا فوق كل قوانيننا، بما فيها الشريعة؟ ومما يستلفت النظر فى هذا الأمر، أن كثيرًا من تلك المنظمات التى أنشأها الغرب، وبالذات الولايات المتحدة، تضم رجال قانون مصريين لامعين ونجباء، والمفترض أنهم يعلمون تمامًا سياسة الولايات المتحدة - داخليًا وخارجيًا - التى لا تأبه لأى قوانين أو قرارات، سواء صادرة من الأمم المتحدة، أو المحكمة الجنائية الدولية (ICJ) التى ترفض الولايات المتحدة الانضمام إليها، أو غير ذلك، ويعلمون تمام المعرفة أن المسئولين فى حكومات الولايات المتحدة المتعاقبة لم يتوقفوا عن الإعلان بأنهم يسعون للحصول على التأييد الدولى، ولكنهم على أتم الاستعداد للعمل منفردين دون الحصول عليه، بل وبخلافه إذا اقتضى الأمر. ومن المستبعد جدًا أن تلك النخبة المتميزة من القانونيين والنشطاء المصريين الذين يعملون فى تلك المنظمات لم يقرأوا - على سبيل المثال - التعديل الحديث فى قانون ولاية أريزونا - التى لم تصبح ولاية إلا فى عام ١٩١٢، أى منذ أقل من مائة عام، والتى يبلغ تعداد سكانها خمسة ملايين فقط - والذي يرفض تطبيق أى قوانين صادرة من: الأمم المتحدة وأى وكالة تابعة لها، والاتحاد الأوروبى وأى وكالة تابعة له، والمحكمة الدولية، والصندوق والبنك الدوليين، ومنظمة الأوبك، والاشتراكية الدولية!، أو ما كتبه جنجريتش رئيس مجلس الشيوخ الأسبق، والذي يحتمل أن يرشح نفسه للرئاسة عن الحزب الجمهورى: إن الأمريكين أصحاب القيم الأمريكية يرون أن على الولايات المتحدة أن تضع مصالحها قبل التعاون مع

المنظمات الدولية (نسبة القائلين بذلك ٧٣٪) - كتاب «Winning The Future» من منشورات Regency Publishing, Inc. سنة ٢٠٠٥، تحت عنوان Test Yourself قبل مقدمة الكتاب<sup>(٩٣)</sup>.

\* ثم علينا اعتبار قضية اكتساب العلوم والمعارف والتكنولوجيا والبحث العلمى قضية مصيرية، وهذا هو جزء من العلم والعمل اللذين تأمرنا الشريعة بهما.

\* وبالتوازى مع ما سبق، يجب تحقيق أكبر قدر من المساواة بالعمل الجاد الأمين على رفع المستوى التعليمى والصحى والمادى<sup>(٩٤)</sup> للقاعدة الكبرى من المواطنين، والذين بدورهم يشكلون قوة شرائية تمثل قاعدة كافية لقيام مختلف أنواع المنتجات والخدمات، وهؤلاء المواطنون هم المتسابقون باسم مصر فى التنافس العالمى على الدنيا.

(٩٣) وذلك برغم أنه فى سجلات التاريخ والحاضر، صدرت مئات الأحكام والتقارير والتوصيات والقوانين والقرارات الظالمة من مؤسسات دولية يهيمن عليها الغرب، وآخرها تقرير للأمم المتحدة يبرى العدوان الإرهابى لإسرائيل على سفينة تركية فى المياه الدولية تحمل معونات غذائية وصحية لفزة - التى تحاصرها إسرائيل - فى جريمة على مرأى ومسمع من كل العالم، فإذا أصحاب حقوق الإنسان يقولون إن من حق «الذين اعتلوا [هكذا...] السفينة أن يدافعوا عن أنفسهم»، وقبل ذلك شهادة أوباما المشهورة للرئيس المخلوع - الذى تعلم أمريكا تمام العلم استبداده وفساده وفشله - حين قال عنه: قوة خير للمنطقة! ثم المحاولات المستميتة من الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبى لمنع تقدم فلسطين للأمم المتحدة بطلب الاعتراف بها كدولة مستقلة، ويهددون بإجراءات انتقامية ضد فلسطين لو لجأت إلى الأمم المتحدة!

(٩٤) على سبيل المثال: أنفق الأهالى فى العشر سنوات الماضية ما يقارب ميزانية الدولة فى التعليم، بل وفى بعض السنوات أنفقوا أكثر! فإذا أحسنت الدولة - بالاشتراك مع القطاع الخاص والأهالى - إدارة العملية التعليمية لوفرت ذلك، ولذهب ذلك الإنفاق لبند المدخرات والاستثمار.

\* وبناء المؤسسات التعليمية الناجحة يمكن أن يجذب تلاميذ وطلاب من مختلف البلاد العربية والأفريقية والإسلامية، فمئذ بضع سنوات، احتلت برامج تعليم اللغة الإنجليزية المركز الخامس أو السادس في صادرات بريطانيا، فيمكن لبرامج مثيلة فى اللغة العربية، وفى العلوم الشرعية أن تشكل حجمًا كبيرًا فى الصادرات المصرية.

ولا ينبغي النظر إلى إصلاح التعليم باعتباره وسيلة جذب للطلاب من خارج مصر فقط، ولكن باعتباره حجر الزاوية فى أى مشروع نهضوى، خاصة وأن فساد المنظومة التعليمية قد وصل حدًا يوحى بالتآمر وسوء القصد، ولن يتحقق ذلك إلا من خلال تفعيل دور المدرسة والجامعة وتحسين أوضاع هئيات التدريس فيها، مما سيقضى تلقائيًا على ظاهرة الدروس الخصوصية، وينعكس إيجابيًا بشكل مباشر على دخل الأسرة المصرية.

\* وما يُقال فى التعليم يقال فى المجال الصحى، فالأطباء المصريون على درجة عليا من الكفاءة، ويحتاجون لتخطيط شامل جاد دؤوب لتحديث وتنظيم عمل المؤسسات الصحية، التى يمكنها أيضًا اجتذاب المرضى والدارسين من العالم العربى وإفريقيا.

أيضا لا ينبغي النظر إلى المنظومة الصحية باعتبارها بابا للسياحة العلاجية فقط، بل باعتبارها من الأولويات المطلقة (مع الغذاء) التى ينبغي أن يتوجه إليها الاهتمام، خاصة بعد أن وصلت بعض الأمراض كسرطان الكبد والفشل الكلوى إلى أعلى المعدلات العالمية. ونرى أن

ذلك لن يحتاج إلى زيادة كبيرة في ميزانية الصحة بقدر ما يحتاج إلى ترشيد الإنفاق في بنود يتم انتهاؤها بشكل كبير، مثل الإنشاءات والعلاج على نفقة الدولة، وشراء أجهزة متقدمة تُكهن في المخازن قبل استخدامها.

\* أمرتنا الشريعة بالعدل، وأساسه العدل الاجتماعي، وأمرتنا بالتكافل، فكيف تنحط حكوماتنا المتعاقبة إلى الظلم الصارخ في دخول العاملين بها؟ والظلم الصارخ في تمييز بضعة ممن يُسمون رجال الأعمال ومحاباتهم بالقروض والتسهيلات، والأرضى شبه المجانية، والإعفاءات الضريبية وغير ذلك على حساب بقية الشعب؟ لقد فعلت حكوماتنا ذلك لأن جمال مبارك أراد صناعة نسخة متطورة مُشوّهة من رأسمالية اليمين الأمريكي - اليمين السياسي واليمين المسيحي، والتي رفضها الشعب الأمريكي حين طالب بالتغيير، وحين جاء بأوباما - طلباً لرضاء واشنطنون عليه وعلى مشروع التوريث.

إن كارثة الدخول في مصر عامل رئيسي في تدهور حال الشعب المصري، ولولا متانة نسيجه ذى البضعة آلاف سنة لتمزق شرتمزيق. هناك عاملون بالدولة يتقاضون أقل من ثلاثمائة جنيه شهرياً، وهناك حوالي ٤٠,٠٠٠ مستشار، يكلفون الدولة ١٢ - ١٥ مليار جنيه في السنة، أى بمتوسط أعلى من ٢٥٠٠٠ جنيه شهرياً، منهم - ربما بضعة آلاف - يتقاضون أكثر من مائة ألف، وبعضهم أكثر من مليون شهرياً، أى أكثر من أوباما<sup>(٩٥)</sup>.

(٩٥) ومن العجيب أن يصرح محافظ البنك المركزي بأنه لن تكون هناك حدود عليا للمرتبات في قطاع البنوك، ويؤيده في ذلك أحد أبرز مساعديه، ويصرح أحد رجال الأعمال البارزين في التطبيع أن الحدود الدنيا للمرتبات هبل إعلامي!. ماذا يمكن أن نقول عن موظف تأتمنه الدولة والشعب على أموال المصريين، يرفض أن يكون دخله ٣٠,٠٠٠ جنيه شهرياً، في الوقت الذي يتقاضى فيه ملايين الموظفين في الدولة راتباً أقل من ١٠٠٠ جنيه شهرياً؟ بالإضافة لوجود ملايين العاطلين! =

\* وأيضًا بالتوازي مع ما سبق، يجب التخطيط لنهضة صناعية زراعية خدمية تكنولوجية، مع قيام الدولة بواجبها الرئيسي في حماية أسس استقلالها، وعلى المسؤولين القتال بكل أساليبه وأشكاله لحماية ذلك، ولهم العبرة فيما فعلته وتفعله الدول المتقدمة في حماية منتجاتها الإستراتيجية - بكل السبل، بدءًا بالحماية الجمركية بمختلف أنواعها، إلى الدعم بكافة أنواعه: مالي، بحوث وتكنولوجيا، وغير ذلك... ولا ننسى أن أوروبا احتلت ثلثي العالم لمدة قرنين أو ثلاثة لبناء اقتصادها، وما زال الغرب يفرض على العالم القوانين التي تناسبه، فلا يمكن أن نستمر في سياسات تدور بنا في حلقات التبعية والاعتماد على من يعمل بكل وسيلة - مشروعة وغير مشروعة - لمصلحته ولا استمرار تفوقه وسيادته.

\* وإذا كانت صناعة وتجارة السلاح والأدوية في مقدمة صناعات وتجارة العالم، فلماذا لا نخطو الخطوة الأولى فيها؟ ولقد خطونا فعلاً تلك الخطوة الأولى منذ عدة عقود بنجاح، ثم توقفنا.

إسرائيل ذات البضعة ملايين مواطن تنتج السلاح، وكذلك الصين التي كانت خلف مصر حتى خمسينيات القرن الماضي، وذات المليار وثلث المليار مواطن، تنتج السلاح، وإيران التي تحاصرها أمريكا والغرب منذ ثلاثين سنة تنتج السلاح.

---

= بل إنه يرفض الكشف عن المرتبات الكبرى في البنوك! مع العلم بأن هناك عشرات الآلاف في مصر أكثر إخلاصًا لبلدهم، وأكثر كفاءة، من أولئك الثلاثة. وتظهر الأقوال السابقة وجهًا من النيوليبرالية يجسد الصلف المفرور والأنانية عديمة الإحساس بالغير، ونتيجته أن حصل ١٪ من الأمريكيين في عام ٢٠١٠ على ربع إجمالي الدخل القومي وكندسوا ٤٠٪ من ثروات أمريكا، ونتيجته في مصر فساد وظلم اجتماعي مماثل ألقي بجهال مبارك وعصبته في سجن طرة، وبقيتهم في الطريق إليه.

فلماذا لا تبدأ مصر فى ذلك؟

مع العلم بأن تقدم صناعات كثيرة فى أمريكا، مثل الحواسيب والنت والاتصالات وصناعات الفضاء، والأدوية وغيرها، يرجع للأبحاث التى يقودها وينفق عليها البتتاجون بسخاء، ثم تستفيد منها الصناعة التكنولوجية المدنية.

وبالطبع يمكن لمصر التخطيط والتنسيق فى ذلك مع كثير من البلاد العربية والأفريقية والإسلامية، وبلاد أمريكا الجنوبية والهند والصين وروسيا، وغيرها.

وما يقال عن السلاح يُقال عن الدواء.

\* وعلى الدولة أن تعيد النظر فى عدوها؟ أهو الشعب؟! كيف يكون عدد العاملين بوزارة الداخلية، وقوات الأمن المركزى وما إلى ذلك أكبر من عدد العاملين بوزارة الدفاع وعدد قوات الدفاع؟.

على الدولة أن تخفض من ميزانية وأعداد العاملين فى وزارة الداخلية لحساب وزارة الدفاع.

ومن الذى يمثل الخطر الرئيسى على مصر؟ حماس وإيران أم إسرائيل؟. وكيف تقف الحكومة المصرية فى خندق إسرائيل وأمريكا فى تنفيذ مشروع فصل جنوب السودان وإقامة دولة مسيحية فيه؟<sup>(٩٦)</sup>

(٩٦) لماذا حضر جون كيرى مرشح الرئاسة السابق، وكارتر الرئيس الأمريكى السابق، وغيرهما من الشخصيات الهامة فى أمريكا قدام الاحتفال بدولة جنوب السودان؟ قال رمزى كلارك - النائب العام فى حكومة جون كيندى - إن واشنطن مقدرة =

\* وفي مجال الطاقة، لماذا لا تبدأ مصر مشروعات طموحة لاستغلال الطاقة الشمسية؟ ولماذا لا تدخل بجدية في مشروع الطاقة النووية؟.

\* وفي مجالات السياحة والتجارة والخدمات، لماذا لا تصبح بورسعيد والإسماعيلية والسويس ودمياط والإسكندرية مراكز جذب مثل دبي وسنغافورة وكوالالمبور؟.

فلنعمل على أن يأتي سائحون عرب إلى مصر بقدر ما يذهبون إلى ماليزيا! ولماذا نرفض تسهيل دخول الإندونيسيين والماليزيين والأتراك إلى مصر بدون الحاجة لتأشيرات، في مقابل أن يذهب المصريون لتركيا بدون تأشيرة؟ مع العلم بأن المصريين يدخلون إندونيسيا وماليزيا بدون تأشيرة. وكيف يدخل الإسرائيليون سيناء بدون تأشيرة حتى اليوم؟.

ولماذا نغلق الباب في وجه السياحة الإيرانية لمصر، والتي يؤكد خبراءها - على الجانبين - أنها لن تقل في سنتها الأولى عن نصف مليون سائح ينفقون ما لا يقل عن مليار دولار، ويمكن أن تزيد إلى أكثر من مليون ينفقون أكثر من ٢ مليار دولار سنوياً؟.

ولماذا نغلق الباب في وجه الاستثمارات الإيرانية في مجالات السيارات والبتروكيماويات والصناعات الغذائية؟<sup>(٩٧)</sup>.

---

= لمبارك دوره في كبح الإسلام، وإن أمريكا تعمل على فصل جنوب السودان منذ أكثر من عشرين عاماً - قال ذلك في حفل عشاء أقيم له منذ بضع سنوات في فندق هيلتون رمبس القاهرة. وقرأ ما جاء في جويش تليجراف ٨ / ٧ / ٢٠٠٤: السودان أصبح قضية يهودية إسرائيلية، قضية دارفور قضية يهودية إسرائيلية!.

(٩٧) تنتج إيران ما يقرب من مليون سيارة سنوياً، بنسبة تصنيع تزيد على ٨٠٪، =

\* وكما ساهمت الأحزاب المسيحية فى إنشاء الاتحاد الأوروبى، لماذا لا يساهم الإسلام السياسى فى إنشاء الاتحاد العربى، ثم الاتحاد الإسلامى؟.

\* وعلينا استبدال شعار تجفيف منابع الإسلام بتجفيف منابع التبعية والفساد، والعمل على تحقيق الشفافية الكاملة فى ميزانية الدولة.

فقد تحدث المسئولون، ومنهم رئيس الجهاز المركزى للمحاسبات، عن الصناديق الموازية، التى بلغت - طبقاً لما أمكن حصره - بضعة آلاف صندوق، وفى تقدير خبراء مالية مثل عبد الخالق فاروق وعبد الحافظ الصاوى راكمت ما يقارب تريليون جنيه فى العشرين سنة الماضية، أى ما يقارب مائتى مليار دولار، ضاع ٦٠٪ منها فساداً.

\* كذلك علينا تحويل مراقبة أمن الدولة للناشطين السياسيين إلى مراقبة الناشطين فى جلب المخدرات، التى تستنزف أكثر من ٢٠ مليار جنيه سنوياً من جيوب المصريين، بالإضافة لما تهدمه من الصحة البدنية والنفسية للمدمنين، وما يتكلفه علاجهم، وآثار التعاطى الضارة على المحيطين بهم.

وعلى المؤسسات الدينية، الحكومية والأهلية، قيامها بالدور المطلوب منها فى تحريم المخدرات، مثل تحريم الخمر.

\* ويمكننا الاستفادة من أموال الزكاة بشكل جماعى مؤسسى يساهم

---

= وعرض رئيس الغرف الصناعية والتجارة الإيرانية استثمار إيران فيما سبق ذكره، وذلك للوفد الشعبى المصرى الذى زار إيران فى مطلع العام الحالى.

في الإنتاج أكثر مما يساهم في إشباع الاستهلاك، فإذا كان إجمالي الناتج في مصر حوالي تريليون جنيه، وقدّرنا ٥, ٢٪ على نصفه فقط، لأتيح لنا ٥, ١٢ مليار جنيه سنويًا، فإذا نجحت الدولة - بالاشتراك مع المؤسسات الوطنية - في كسب ثقة المزمين لاستطاعت توفير استثمار معتبر بتكلفة صفرية<sup>(٩٨)</sup>، وما يُقال عن الزكاة، يقال عن الأوقاف الإسلامية التي أمتها الدولة، ولا أحد يعرف ماذا تفعل بها.

وجدير بالذكر أن كثيرًا من جامعات ومستشفيات أمريكا الناجحة والتميزة قامت على الأوقاف.

وعلى الدولة أن تكف عن الاقتراض - الذي كان من ذرائع احتلال إنجلترا لمصر ثمانية عقود، والذي يُكثّر التبعية التي يريد بها بعض المتفعين والمستغربين - وتعمل جديًا على استرداد أموال مصر المنهوبة داخليًا وخارجيًا.

وقد عرض الخبراء عدة خطوات أساسية توفر للدولة ما يكفيها:

رفع أسعار بيع الغاز إلى الأسعار العالمية - إنهاء دعم الصناعات التي تحقق أرباحًا غير معتادة، مثل صناعات الأسمت والحديد والسيراميك بالطاقة الرخيصة - عمل ضرائب تصاعدية على تلك الصناعات، وعلى شركات المحمول بأرباحها المليارية، ومثيلاتها - استرداد القروض التي بالمليارات من أصحاب الحظوة ممن يُسمون رجال الأعمال من عصابة جمال مبارك ومن

(٩٨) لو رجعنا لميزانيات الدولة، لوجدنا أن ما يقارب نصفها - ٥٠٪ - يذهب لسداد القروض وفوائدها.

حواله - عمل ضرائب على أرباح البورصة كما يحدث في معظم دول العالم - استعادة سيطرة الدولة على الصناديق الموازية وتطهيرها من الفساد لتخدم الشعب - ضبط الحد الأعلى للدخول، ويكفى في ذلك ثلاثين ألف جنيه شهريًا للعابرة ذوى الإنجاز، ومن لا يقبل فليترك منصبه لغيره<sup>(٩٩)</sup> - إيقاف تزيف خسائر الإعلام، الذى ضلل الشعب لعدة عقود<sup>(١٠٠)</sup>، بميزانياته المفتوحة سواء لدعم نظام مبارك أو لتغريب الشعب - الاستغناء عن آلاف المستشارين من مستشارى السوء لعائلة مبارك والعصبة التى حوله.

(٩٩) وبالنسبة للقطاع الخاص، فعلى الدولة أن تطبق نظام الضريبة التصاعدية على أرباح الشركات، وعلى الدخل العام، فمثلاً من يزيد دخله عن نصف مليون جنيه سنوياً يدفع ٢٥٪، وتتصاعد الضريبة ١٪ مع كل مائة ألف جنيه، حتى إذا تجاوز مليون جنيه فى السنة دفع ٣٠٪، وإذا تجاوز ٢ مليون جنيه فى السنة دفع ٤٠٪، حتى يصل السقف الأعلى للضريبة عند دخل ٣ ملايين سنوياً، أو ما يزيد عليه إلى ٥٠٪. ويسرى هذا النظام على الجميع: رجال أعمال، وأطباء، وإعلاميين، أدباء وكتاب، فنانيين، ولاعبى الكرة وغيرهم.

(١٠٠) وبالنسبة للإعلام الخاص، والذى ربما يكون فى بعض الأحيان أكثر خطراً وأشد ضرراً من الإعلام الحكومى، فالأخير قد تعوقه البيروقراطية وقلة الكفاءة الحكومية المعتادة، بينما الأول يدفعه رأس المال والربح دفعاً، فكثيراً ما يصبح أسيراً لرأس المال وللإعلانات، وذلك يمثل سما يجرى فى عروقه، كما يجرى سم النفوذ الأجنبى فى عروق الدولة التى ترضح له. ولقد تبنى الإعلام الخاص الثورة وأهدافها، بل وساهم فى قيامها، فعليه أن يبارس ما تدعو إليه الثورة داخل مؤسساته: العدل الاجتماعى - الديمقراطية - الشفافية، وإن لم يبارس ذلك، فكيف يدعو إليه؟ ففاقد الشىء لا يعطيه.

وإذا كان السياسيون معرضين للفساد بسبب شهوة السلطة وشهوة المادة، فالإعلاميون مثلهم فى ذلك، ويضاف فى حالة الإعلاميين شهوة الشهرة، وإذا كان زواج السلطة ورأس المال خطراً على المجتمع، فزواج الإعلام ورأس المال لا يقل خطراً. وهناك رجال أعمال يملكون وسائل إعلامية، وإعلاناتهم تهم كل وسائل الإعلام لدرجة أنها تتجنب نشر ما يضرهم، ومنهم من يستطيع التأثير - إن لم يكن شراء - بعض البرامج ومن يقدمها، وبعض الأعمدة ومن يكتبها.

\* جاء في القرآن ﴿فَأَنشَأُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ ، وجاء ﴿فَأَنْتَشِرُوهَا فِي الْأَرْضِ وَآتِنَاهُمْ مِّن فَضْلِ اللَّهِ﴾ . كيف أهملنا سيناء بكل وزنها وثقلها للاقتصاد والأمن القومي؟ . قال اللواء منير شاش محافظ سيناء الأسبق - رحمه الله - إنه قدم حوالي ثلاثين مشروعًا لتنمية سيناء، لم ينظر رئيس الوزراء لأى منها! .

فإذا كان مبارك وعصبة لم يكن يعنيه سوى مصالحهم الخاصة - وخير إسرائيل كما صرح أوباما - وانحصر تفكير مبارك وعصبة في جلب السائحين من إسرائيل والاستجابة لطلباتهم الشاذة في كل أنواع الجنس والمخدرات، مع بعض السياحة الأخرى من أوروبا، حتى إنه منع إقامة جسر بين مصر والسعودية لخدمة التجارة والأعمال والسياحة، فعلى حكومتنا الجديدة تغيير كل ذلك، وتنمية سيناء زراعيًا وصناعيًا وتجاريًا وسياحيًا، وتكثيف السكان بها.

\* وعلى الدولة العمل بكل الوسائل القانونية على استعادة ما منحتة الحكومات المتعاقبة في أكبر عملية سرقة في تاريخ مصر - المسماة الخصخصة - لأفراد، ومؤسسات قريبة من عائلة مبارك وعصبة.

\* ومن أخطر ما يهدد استقلالية مصر وشعبها أن تترك المؤسسات الأجنبية حرية العمل داخل مصر دون دراسة ودون مراقبة جدية لأهدافها، وأهداف وآثار تمويلها للمصريين، سواء كانوا أفرادًا أو أحزابًا، أو مؤسسات وصناديق تمويل وما إلى ذلك.

فالأمر أوضح من الحاجة لبيان أنها تعمل لخدمة المؤسسات الأجنبية: من أرسلها ومن يمولها. وقد يستفيد الشعب المصرى منها، وقد

لا يستفيد، وقد تسبب أضرارًا بالغة، والأمر أخطر من أن يُترك كما كان في عهد مبارك، بنظمه ولوائحه.

\* ومن أخطر أشكال التبعية الثقافية والمادية التي أصابتنا، ما جرجرتنا إليه ثقافة وال ستريت الأمريكية من حمى الاستدانة للاستهلاك وللمظهرية الزائفة، مما يتعارض مع ثقافتنا الإسلامية، ويتعارض أكثر مع ثقافتنا المسيحية. فعلى الدولة مع مؤسسات الفكر الخاصة كبح جماح جنون الاستهلاك وإعلاناته التي تجعل من التضييل والتزييف والإغراء الفج أسلوب تخاطب يومي معتاد.

\* وعلى الدولة أيضًا - مع المؤسسات الأهلية - ابتداء نظم تمويل واقتصاد إسلامية، وقد سبقت ماليزيا دول العالم الإسلامي في ذلك، وتسابت إليها صناديق ومؤسسات التمويل التي تريد اتباع النظام الإسلامي<sup>(١٠١)</sup>.

\* ولا حاجة بنا لتكرار محورية الشورى أو الديمقراطية في حياتنا كلها، فلا استبداد يصنع أنصاف آلهة، وأشباه عبید، وهذا ما جاء الإسلام لهدمه.

\* جاء في القرآن ﴿وَلِئَلَّ مَا يَفْعَلُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَتَنَبَّأُوا بِمَا فِي بَيْتِهِمَا لَوْلَا فَتَنَّا عَلَيْهِمَا عَلَى الْآخِرِينَ فَفَقِيلُوا لَا بِيِّنَا رَبِّنَا إِنَّا نَحْنُ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِ صَدْرِنَا حِينَ قَوْلِهِمْ أَتَنَبَّأُوا بِالْبَاطِلِ إِنَّا ضَالُّونَ لَمَّا جَاءَنَا الْمُحْجَرَاتُ: ٩﴾، وجاء «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا» فلما سأله الصحابة كيف ننصره وهو ظالم؟ أجابهم «بأن نكف يده عن الظلم».

(١٠١) أصدرت الشروق الدولية كتاب «التجربة الماليزية» في ذلك المجال، بقلم نوال عبد المنعم بيومي، وتقديم د. رفعت المعوضى.

لو اتبع المسلمون شرعهم لمنعوا ظلم صدام حسين لشعبه، ولنعوا غزوه الكويت، أو لطرردوا بقوتهم قواته من الكويت، ولو فعلوا ذلك لما غزت أمريكا بقواتها العراق، ولو منعوا القذافي من ظلم شعبه لما وصلنا لما نحن فيه الآن، ولتتدبر كيف أن أمريكا والنااتو يقومون بما كان يجب على القوات الإسلامية القيام به، ثم تحقق أمريكا ومن معها الفوائد الآتية:

١- تتقاضى ثمنًا غاليًا عن عملها العسكري من دول البترول العربية، فتخرج بمكاسب مالية باهظة.

٢- تكتسب خبرة من عملياتها العسكرية، لتطور بها أسلحتها وخططها.

٣- تتخلص من أسلحتها القديمة.

٤- تتخلل الدولة والمجتمع الليبي.

٥- تفرض شروطها على حكومة ليبيا القادمة.

ويستكت العرب المسلمون عما يحدث في سوريا، وما يحدث في الصومال، وبذلك يبيثوا الفرص لكل الطامعين.

\* ويجدر بنا - خاصة ونحن على مشارف انتخابات برلمانية وانتخابات رئاسية - أن نحذر من خيانة الله ورسوله، فنختار الأفضل، ليس الأقرب ولا من نرجو منه منافع خاصة، أو أهداف خاصة على حساب الصالح

العام<sup>(١٠٢)</sup>، فقد جاء في الحديث «من ولى من أمر المسلمين شيئاً فولى رجلاً وهو يجيد من هو أصلح للمسلمين منه، فقد خان الله ورسوله».

\* كذلك يجدر بنا أن نحذر من التزوير الذي قرنه الحديث بالشرك «أكبر الكبائر الإشراف بالله، وعقوق الوالدين، ألا وقول الزور، ألا وقول الزور، ألا وقول الزور» حتى قال الصحابة ياليتته سكت.

\* وعلى أصحاب العمل السياسى الإسلامى أن يتحملوا مسئوليتهم - مع بقية القوى السياسية - فى تأليف ومزج كل أطراف العمل السياسى فى مصر، من أقصى اليمين لأقصى اليسار، وألا يتزلقوا فى معارك جانبية كل هدفها إخراج مصر من مسار الإصلاح، وأن يعوا تمامًا، هم وكل الطيف السياسى فى مصر، أن بكل من إسرائيل وأمريكا طيفًا سياسيًا وثقافيًا أكثر اتساعًا وتناقضًا من الطيف السياسى المصرى، ولكنهم يعملون معًا، ولا يتبعون أساليب الإقصاء والإبعاد.

\* وأن يتبهاوا للخطة العالمية لنشر الإسلام موفويًا، ليس فقط فى أمريكا

---

(١٠٢) لماذا اختار مبارك عاطف عبيد رئيسًا للوزراء؟ لم يكن للرجل فى أى وقت رؤية، ولم يزعم أحد له إنجازًا، فضلًا عن أنه مدمن، فهل هذا سبب اختياره؟! بالإضافة لحته على مشروع التورث؟! ومن طرائف حكم عبيد ورؤيته تصريحه الذى قال فيه: إذا أردنا دخول السوق الأفريقية، فأفضل السبل لذلك رجال الأعمال اللبانيين!.

كذلك لماذا اختار أحمد نظيف رئيسًا للوزراء؟ لم يبارس أى نشاط سياسى قبل اختياره، ولا حتى بعده، وهو عديم الرؤية السياسية من قبل ومن بعد، وقد ذهب لواشنطن فقال: مصر دولة علمانية - الشعب المصرى غير مستعد للديمقراطية - لو تركنا الانتخابات دون تدخل (عام ٢٠٠٥) لزادت حصة الإخوان على ٢٥٪! هل كان الرجل يقدم مسوغات تعيينه لواشنطن؟ تلك المسوغات هى الجهل، وازدراء الشعب المصرى والتكبر عليه والافتخار بالتزوير والحرب على الإسلام السياسى!.

والغرب، بل وهنا في الشرق الأوسط، وفي مصر بالذات، وذلك يحتاج لخطّة مواجهة حكيمة شاملة، بعيداً عن انفعالات اللحظة والأحداث.

\* كذلك على أصحاب العمل السياسي الإسلامي أن يعوا أن تقنين الشريعة ليس هدفاً بذاته، بل هو وسيلة لبناء المجتمع الذي قال القرآن عنه ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، وكذلك الحكم ليس هدفاً بذاته، بل هو وسيلة بناء ذلك المجتمع، ورُبَّ سياسي خارج الحكم أنفع وأفيد لبلده وأكثر تأثيراً من حاكم!.